

العدد الخامس

الجليد الدامي



د. بيل فاروق

رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للجباب
زائخرة
بالأحداث
المثيرة



الجليد الدامي

- من هو العميل السوفيتي، الذي يعمل لحساب
- المخابرات المصرية في موسكو ؟
- أين يخفي هذا العميل المستندات السرية، التي
- قتل من أجلها طيار مصري ؟
- ترى هل ينجح (أدهم صبري) وزميلته، في
- الحصول على المستندات وكشف العميل ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، لترى كيف يعمل (رجل
- المستحيل).



بيل فاروق

www.dvd4arab.com

انقضت طائرة من طراز (ف ١٥) على هدفها ،
الذى يمثل في دبابه قديمة من طراز (تيجر) ،
وأطلقت صاروخاً حريقاً أصاب الهدف في منتصفه
تماماً ، قبل أن ترتفع الطائرة ببراعة ، وتدور في الفضاء
دورة رأسية كاملة ، لتعود إلى الانقضاض على هدف
مماثل ، صانعة به مثلاً صنعت بسابقه .. وعلى بعد
كيلومترين على الأرض ، وقف اللواء (فاروق صادق) ،
مدير مدرسة الطيران الحربي ، يراقب الطائرة من خلال
منظاره المقرب ، وقد ارتسمت على شفاهه ابتسامة
إعجاب ، ثم ناول المنظار للعميد طيار (شوق)
خطاب (الذى يقف بجواره ، وقال :

— راقب هذا الإبداع يا (شوق) .. كم أتمنى
لو كان هذا الرجل واحداً من طيارينا .

ابتسم العميد (شوق) ، وهو يراقب الطائرة وهي

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل
واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ..
ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق
عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة
المخابرات الحربية ، لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

وزير الحربية نفسه ، قرر أن المكان الوحيد الذى يمكنه
الاستفادة من القدرات الخرافية لهذا الرجل ، هو إدارة
المخابرات الحربية .
قال اللواء (فاروق) بأسف ، وهو يراقب هبوط
الطائرة :

— أعقد أن هذا صحيح .. انظر إليه كيف يهبط
على الممر ، كنقطة من الزيت النقى تنزل على سطح .
أجلس يهدوء وسرعة .. ما زلت أذكر المناورات التى
شارك فيها أمس ، وكيف كان باستطاعته تدمير كل
الطائرات التى اتخذت صفة العدو ، بمهارته العالية في
المناورة ، برغم أنه أحدث من الآخرين .

ابتسم العميد (شوق) وقال :
— هذا الأمر يرجع إلى هدونه الشديد ، وقدرته
الرائعة على الاستيعاب والتحكم في أعصابه ، واتخاذ
القرارات في جزء من الثانية ، وكأنه كمبيوتر دقيق .
قال اللواء (فاروق) بجذبة :

تصيب آخر أهدافها بمهارة ، وقال :
— إننى أحسد المخابرات الحربية على فوزها بمثل هذا
الرجل .. إنه معجزة .
كانت الطائرة تدور في تلك اللحظة دورة أفقية
استعداداً للهبوط ، عندما عقب العميد (شوق)
قائلاً :

— هل تعلم يا سيدى أى لقب أطلقته إدارة
المخابرات على هذا الرجل ؟ .. إنهم يلقبونه بـ (رجل
المستحيل) .

ابتسم اللواء (فاروق) وقال :
— إنه يستحقه عن جدارة حشتم أرى .. نرى هل
نستطيع ضمه إلى سلاح الطيران ؟
هز العميد (شوق) رأسه نفياً ، وابتسم وهو
يقول :

— أشك في جدوى المحاولة يا سيدى .. لقد سبقنا
إليه القوات البحرية ، وقبول طلبها بالرفض التام .. حتى

— هذا عظيم .. كثير من المارك تبذل نتائجها بسبب هذا الجزء من الثانية أيا العميد .

وفي هذه اللحظة تقدم طيار برتبة ملازم ، وسلم ورقة مطوية للواء (فاروق) ، الذى فتحها ، وأخذ يقرأ ما بها ، وقد قطب حاجبيه ، وظهر على وجهه الاهتمام الشديد .. وما أن انتهى من قراءتها حتى ناوفا للعميد (شوق) وهو يقول :

— اطلب من المقدم (أدهم صبرى) ، أن يلحق بى فى مكتبى فور هبوطه من الطائرة .. أخبره أن الأمر عاجل جدًا .

قرأ العميد (شوق) الورقة ، ثم قال :

— أمرك يا سيدى .. ولكن هذه الرسالة تبدو عادية ، ولا تحتاج إلى كل هذا القلق .. إنها تقول : « إلى المنزل يا (ن - ١) الجليلد بنهر » .

قطب اللواء (فاروق) حاجبيه ، وقال :

— (ن - ١) هو الرقم الكودى للمقدم (أدهم

٨

صبرى) ، إنهم يطلبونه فى إدارة المخابرات ، ولكنهم هكذا دائمًا يحيطون أعمالهم بسرية بالغة ، حتى لو تعلّق الأمر باستدعاء أحد رجالهم .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على وجه العميد (شوق) وهو يقول :

— هذا أفضل يا سيدى .. ثم إن هذا ليس رجل مخابرات عاديًا .. إنه (أدهم صبرى) .. رجل المستحيل .

* * *



٩

٢ — مهمة صعبة ..

وقف (أدهم صبرى) بثبات أمام مدير المخابرات الحربية ، وبحواره وقت زميله (منى توفيق) .. أشار مدير المخابرات إليهما بالجلوس ، وقال :

— مرحبًا أيها المقدم .. مرحبًا أيها الملازم .. أتعشّم أن تكونا فى خير حال .

ثم تناول بضعة أوراق أمامه ، وأخذ يتفحصها قليلًا ، ثم قال :

— أننا تعلمان بالطبع أن سلاحنا الجوئى يضم عددًا من الطائرات (الميج) السوفيتية الصنع ، وأن عددًا من طيارينا يجيد قيادة هذا النوع من الطائرات .. ولكن الذى لا تعلمانه ، أننا بصدد التعاقد على دفعة جديدة من الطائرات المقاتلة السوفيتية المعدلة ، وأن أحد طيارينا كان فى الاتحاد السوفيتى ، للتدرب على استعمال هذا النوع المعدل .. ولكن

١٠

صمت مدير المخابرات قليلًا ، ثم تابع قائلاً :
— ولكن هذا الطيار قد قتل فى ظروف غامضة ، واختفى عدد من المستندات التى كانت بحوزته ، والخاصة بسلاح الطيران المصرى ، وهذه المستندات سرية للغاية .

قال (أدهم) بحذية :

— هذا يعنى أن علينا البحث عن هذه الـ

قاطعه مدير المخابرات قائلاً :

— نحن نعلم من المسئول عن قتل طيارنا أيها المقدم .. ونعلم أن المستندات بحوزته الآن .. كما نعلم بصورة مؤكدة أن هذا المسئول عميل للمخابرات المعادية ، التى تخصصت فى قتالها يا (أدهم) ، ولكنه لم يقم بتسليمها إليهم بعد ، إذ أنه من الخطر إرسال أية مستندات بالبريد ؛ لأن البريد يخضع للرقابة الشديدة فى الاتحاد السوفيتى .. كما أن هذا الرجل لا يستطيع اغتاطرة بزرع الشك حول منصبه ، بإرسال رسالة

١١

شفرة إلى الخبايا المعادية ، تحوى على الأسرار الواردة
في المستندات .. كل ما فعله هو أنه أبلغهم بنجاح
مهمته ، وينتظر الآن قدوم أحد رجالهم ليتسلم
المستندات .. وسيسلم رجل الخبايا المعادية إلى روسيا
بعد غد لتسلم المستندات .

أطلق (أدهم) صغيراً قصيراً ، على حين قطبت
(منى) حاجبها ، وقالت :

— علينا إذن أن نحصل على المستندات بأية طريقة ،
قبل وصول ضابط الخبايا المعادية .

ضم مدير الخبايا كفيه ، وقال :

— هذا سليم أيتها الملازم .. كان من الممكن أن
تكون هذه المهمة معقولة ، لولا أننا سنضطر للعمل
داخل الاتحاد السوفيتى .. وهم هناك شديدو الحذر ،
يجرى الشك فى عروقهم مجرى الدم ؛ ولذلك فهم
يعتبرون كل أجنبى يدخل دولتهم عدواً وعميلاً حتى
يثبت العكس .. سراقبتكما بدقة منذ وصولكما

وحتى رحيلكما .. ستكون مهمتكما محفوفة بالخطر فى
كل لحظة ، وسيكون عليكما أن تتبنا من موضع
أقدامكما جيداً قبل اتخاذ أية خطوة ، وستغتش
حقائبكما فى المطار ، ولن يسمح لكما بالتجوال إلا فى
مناطق محددة ، وما عدا ذلك يحتاج إلى تصريح خاص .

ابتسم (أدهم) ، وقال بهدوء :

— كل هذا يمكن التغلب عليه يا سيدى .

هز مدير الخبايا رأسه ، وقال :

— ربما أيتها المقدم .. ولكن الخطر الأكبر يكمن فى

شخصية العميل الروسى ، الذى يحمل المستندات .

ثم صمت قليلاً قبل أن يلقي بقبلته قائلاً :

— إن هذا العميل هو مدير الشرطة بموسكو ..

مدير الشرطة شخصياً .

قطب (أدهم) حاجبها ، على حين رفعت (منى)

حاجبها بهدشة ، وتتمت :

— يا إلهى !! مدير الشرطة ؟ .. وكيف توصلتم إلى
هذا يا سيدى ؟

ابتسم مدير الخبايا وهو يجيبها قائلاً :

— حتى نحن لنا عملاؤنا أيتها الملازم .

وهنا قال (أدهم) مقاطعاً بجديّة :

— أعتقد أنه من الأفضل أن أعمل وحدى فى هذه

المرّة يا سيدى .

هز مدير الخبايا رأسه نفياً ، وقال :

— بالعكس أيتها المقدم .. رجل وحيد يثير من

الشك أضعاف ما يثيره رجل وزوجته .

رفعت (منى) حاجبها دهشة ، وقالت :

— زوجته ؟

قال مدير الخبايا باهتمام :

— هذه هى الصفة التى ستتجلبها فى هذه المهمة

أيتها الملازم ، ولقد تم حجز مكانين لكما فى رحلة

سياحية إلى الاتحاد السوفيتى ، وستطلق الطائرة بعد

ساعة واحدة من الآن .. وكان من المفروض أن تكونا فى

المطار منذ نصف ساعة على الأكثر ؛ ولذا فلقد أعدنا

حقائبكما ، وستوجهان إلى المطار فى الحال .

ثم التفت إلى (أدهم) ، وقال :

— لن يمكنك حل مسدسك هذه المرة أيتها المقدم ،

ولقد أمرت المكتب الفنى رقم (عشرة) بإعداد بعض

الأسلحة برينة المظهر ، وعليك بالمرور على المكتب .

ليشرح لك الدكتور (فهم) كيفية استخدامها

وفوائدها .

واستبد إلى مقعده وهو يراقب انصرافهما ، وتمتم

بصوت خافت :

— وفّقكما الله يا ولدى .. الله معكما .



— ستجمّد أنفاسي ، حتى تعجز عن الخروج من

رثي .

ضحك (أدهم) ، وقال ولها عيبان سلم
الطائرة :

— هراء .. ستعادين الأمر بعد ساعة واحدة .
وفي المنطقة الجمركية تم تفتيش حقائبهما بدقة ،
 واحتجز مكتب الأمن جوازى سفرهما ، ومنحهما بدلاً
منهما تصريحى إقامة .. وقال رجل الأمن ببرود وهو
يناوئهما التصريحين :

— ستسعيدان جوازكما عند مغادرة البلاد .

وما أن خرجا برفقة الوفد السياحي ، حتى مالت
(منى) على أذن (أدهم) ، وهمت بضيق :
— لقد بدأت أشعر بالملل من نظام الأمن في هذا
البلد .

ابتسم (أدهم) ولم يعلق ، وظلّ على صمته حتى
وصل الوفد السياحي إلى الفندق المعد لإقامته بواسطة

هبطت الطائرة التابعة لشركة مصر للطيران في مطار
موسكو الضخم ، وأحكم ركابها إغلاق معاطفهم ،
عندما تبين لهم الجليد الذى يغطى قمم الأبنية والأراضي
في مثل هذا الوقت من السنة .

ارتعد جسد (منى) حتى قبل أن تهبط من الطائرة ،
وقالت وهي تتأبط ذراع (أدهم) :

— الجو بارد جداً هنا .. إننى أرتعد من شدة
الصقيع .. أعتقد أن درجة البرودة تقل عن الصفر
المئوى .

ابتسم (أدهم) ، وقال متهمكماً :

— ما زلنا في أول الصباح .. ماذا ستفعلين إذن
عندما يحلّ المساء ؟ إن درجة البرودة تنخفض بمقدار
سبع درجات مئوية على الأقل .

سرت رعدة في جسد (منى) عند سماعها لهذه
العبارة ، وقالت :

— أعتقد أن هذا يحتاج إلى تصريح خاص
يا سيّدى .. ثم .. هل تتحدّث الروسية ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفياً ، وقال :
— لا أتحدّث بها بالطبع ، ولكن ألا يمكننى
التخاطب هنا بالإنجليزية أو الفرنسية ؟

قال موظف الاستقبال ، وهو يتظاهر بالانشغال في
بعض الأعمال الكتابية :

— إما أن تتحدّث الروسية أو تنتظر مشرف الرحلة
يا سيّدى .

استدار (أدهم) إلى باب الفندق ، وقال وهو
يجذب (منى) لتبعه :

— حسناً .. سأتحمل مسؤولية الأمر وحدى .

صاح موظف الاستقبال بلهجة أقرب إلى الدعر :

— انتظر يا سيّدى .. هذا

ولكن (أدهم) و (منى) لم يستمعا إلى باقى
عبارة ؛ إذ كانا قد اجتازا باب الفندق ، وأسرعوا الخطأ

حافلة خاصة .. وفي الفندق روجعت أسماءهم بدقة ،
وتم توزيع الغرف على الجميع ، ونهيهما مشرف الرحلة
إلى ضرورة التواجد في الواحدة بعد الظهر ، لبدء الرحلة
السياحية .. وما أن استقرا في غرفتهما حتى زفرت
(منى) بضيق ، وقالت :

— كيف سنصل إلى هدفنا في هذا البلد ؟ إنهم
يُحصون أنفاسنا .

ضحك (أدهم) بسخرية ، وقال وهو يتناول
يدها :

— دعينا نحاول أولاً ، ثم نتساءل فيما بعد .

وهبطا سوياً إلى موظف الاستقبال بالفندق ، وسأله
(أدهم) بالإنجليزية :

— هل يمكننا التجوال في المنطقة حتى نعين الساعة
الواحدة ؟

نظر إليه موظف الاستقبال بشك ، وقال بلهجة
إنجليزية ركيكة :

في الطريق الواسع المغطى باللوج .. وقالت (منى)
بابتسامة :

— أنسر في الاتجاه الصحيح ؟ أم أنك تخالف
الأوامر فحسب ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

— بل أخالف الأوامر فحسب .

ثم أعقب قائلاً ، وقد تبدلت ابتسامته إلى ملامح
جادة :

— اسمعى إلى أيتها الملازم .. إننا نحاول الوصول
إلى شخصية هامة ، محاطة دائماً بالحرس ، وهذه
الشخصية هي مدير شرطة موسكو الرقيق (إيفان
مالاخوف) .. كيف تصوّرين أن نصل إليه ، ونحن
سائحان في رحلة سياحية هادئة ، ملتزمان ببرنامج الرحلة
وأوامر المشرف ؟ .. الحل الوحيد هو أن ندفعه هو إلى
مقابلتنا ..

رفعت (منى) حاجبها بدهشة ، وتوقفت عن
السير ، وقالت :

٢٠

— ندفع مدير الشرطة شخصياً لمقابلتنا ؟ ..
وكيف ؟

قادها (أدهم) إلى أريكة خشبية في أحد الحدائق
المغطاة بالجليد ، وجلسا قبل أن يقول :

— هذه هي مشكلة مهمتنا أيتها الملازم .. أن ندفع
مدير شرطة موسكو لمقابلتنا .. إننى أفكر في هذا الأمر
طوال الرحلة بالطائرة .. ولقد توصلت إلى خطة مخفية
بإخاطر ، ولكنها في نظري الطريقة الوحيدة للوصول إلى
هدفنا في هذا الوقت القصير .

نظرت إليه (منى) بمزج من القلق والتساؤل ،
فتابع قائلاً :

— خطتي تعتمد على أن الرقيق (إيفان) ليس
مواطناً سوفيتياً مخلصاً ، وإنما هو كما يعلم كلانا غميل
للمخابرات المعادية .. وهذا النوع من الرجال يكون
دائماً شديد الحذر كثير الشك .. كل ما علينا هو أن
نثير فضوله ، ونشعل نيران القلق في قلبه .

٢١

أكملت (منى) العبارة بتوتر واضح قائلة :

— وندفعه إلى قتلنا ، للتخلص من هذا القلق ..
أليس كذلك ؟

قطب (أدهم) حاجبيه بضيق ، وقال :

— لن يفعل أيتها الملازم ، وهذا ليس مجرد تفاؤل ،
وإنما هو استنتاج منطقي مبنى على مبادئ علم النفس
الإجرامى .. إنه الآن ينتظر بقلق قدوم ضابط
(الموساد) ، ليتسلم منه المستندات التى بحوزته ،
وعندما نثير الشك في قلبه ، فإنه سيحاول أولاً التوصل
إلى الهدف الذى نسعى إليه .. لن يجازف بقتلنا في مثل
هذه الظروف ، فربما كان وراءنا آخرون .

قطبت (منى) حاجبها ، وقالت :

— وهل ستثير شكه وقلقه بمخالفتك للأوامر ؟

ابتسم (أدهم) بسخرية ، وقال :

— هذه مجرد خطوة أولى أيتها الملازم .. والآن
استعدى للعودة إلى الفندق ، إنها الواحدة وخمس
دقائق .

٢٢



قادها (أدهم) إلى أريكة خشبية في أحد الحدائق المغطاة بالجليد ..

عادا إلى الفندق بهدوء ، و (منى) تتأبط ذراع (أدهم) ، وقد نجحت في رسم الالمبالاة على وجهها ، واستقبلهما باقى أفراد الرحلة بالتساؤل ، على حين قال أحد رجال الشرطة بحزم :

— التجوال بدون تصريح خاص محظور على الأجانب أيها الرفيق .

هز (أدهم) كفيه بلامبالاة ، وانضم مع (منى) إلى أفراد الرحلة السياحية .. فصاح مشرف الرحلة في وجهه بغضب :

— اسمع يا سيد (أدمون) .. إما أن تلتزم بأوامرى أو

قاطعه (أدهم) ببرود قائلا :

— اسمعنى أنت يا سيد (حافظ) .. لا تنس أنك مجرد مشرف للرحلة ، لست ناظر مدرسة .. ثم إننى لا أسمع لأحد بويخى إلّا إذا أجبرنى على إطاعة أوامره .. هل تستطيع ذلك يا سيد (حافظ) ؟

امتقع وجه (حافظ) ، وتأمل قوام (أدهم) الرياضى ، وعضلات رقبته القوية ، ثم قطب حاجبيه ، وأشاح بذراعه ، وابتعد وهو يتمم بعبارات غاضبة .. وهنا ابتسمت (منى) وقالت بصوت خافت :

— يبدو أنك تنوى زرع القلق فى قلوب الجميع يا سيدى .



٤ — أمام الذئب ..

وقف الرفيق (إيفان مالاخوف) خلف نافذة غرفة مكتبه الفاخر ، يتأمل الطلوع التى تنهمر على موسكو ، ويستمتع فى نفس الوقت إلى التقرير اليومى الذى يلقيه على مسامعه سكرتيره الشاب (أليكسى) .. كان يستمتع بلامبالاة إلى العبارات اليومية المألوفة حتى قال (أليكسى) :

— غادر زوجان شابان فندقهما دون تصريح ، وجوّلا مدة نصف ساعة فى موسكو ، قبل أن يعودا إلى الفندق ، وقد أدّى ذلك إلى تأخر الرحلة السياحية المصرية مدة ربع ساعة قبل أن

قاطعه (إيفان) قائلا :

— لا معنى عندى لكلمة زوجين شابين أيها الرفيق (أليكسى) .. أريد الأسماء والتفاصيل . ارتبك (أليكسى) قليلا ، ثم قال :

— الزوج يدعى (أدمون صفوت) .. مهندس مصرى فى الخامسة والثلاثين من عمره ، طويل القامة ، عريض المنكبين ، وسيم الملامح ، أسود الشعر والعينين ، حليق الذقن والشارب ، رياضى القوام .. أما الزوجة فتدعى (مها رياض) ، سوداء الشعر قصيرة ال

قاطعه (إيفان) ، وقد قطب حاجبيه قائلا :

— لحظة أيها الرفيق (أليكسى) .. أعد أوصاف الزوج مرة ثانية .

أعاد (أليكسى) أوصاف الزوج بتمهل ، وما أن انتهى منها حتى ازداد تقطيب حاجبيه (إيفان) ، وتقم بصوت خافت :

— يا للشيطان !! هذه الأوصاف !!

ثم التفت إلى (أليكسى) ، وقال :

— أريد جواز السفر الخاص بهذا الرجل .. أريده فى الحال .

انصرف (أليكسى) مسرعا لإحضار جواز سفر

(أدهم) ، على حين اتجه (إيفان) إلى مكتبه ، وفتح أحد أدراجيه ، وأخرج منه صورة مرسومة بدقة لـ (أدهم صبرى) ، وجلس على مقعده ، وأخذ يتأمل الصورة بدقة ، ثم قال لنفسه بقلق :

— هذه الصورة مرسومة بدقة ، بناء على الأوصاف التى أدلى بها الجنرال (حاييم شيمون) ، ذلك الداهية العجوز .. بعد أن أوقع به هذا الشيطان المصرى المدعو (أدهم صبرى) مرتين .. إنهم يقولون : إن هذا الشيطان هو العدو الأول (للموساد) .. وأنه هزم أقوى رجالهم .

ثم ابتسم بشراسة وخبث ، وهو يقول :

— لو أنه نفس الرجل ، فهذا يعنى أنه هنا وراء المستندات .. ولكنه سيواجه غريباً يختلف عن سابقه .. وعلى أرض الجليل .. الجليل الذى يزينه العلم الأحرز .

عاد (ألكسى) بسرعة ، حاملاً جواز السفر

الخاص بـ (أدهم) ، وناوله لرئيسه بعد أن أدى له التحية العسكرية .. تناول (إيفان) الجواز وفتحه ، وما أن ألقى نظرة على صورة صاحبه ، حتى انفتح ثغره عن ابتسامة وحشية ، وتتم قائلاً :

— إذن فهو أنت أيها الشيطان !!
ثم رفع رأسه إلى (ألكسى) وقال :

— أريد هذا الرجل وزوجته هنا ، فى إدارة الشرطة أيها الرفيق (ألكسى) .

أدى (ألكسى) التحية لرئيسه ، وقال :

— أمرك يا سيدى .. سأمر بإحضارهما فى الحال . ازدادت ابتسامة (إيفان) شراسة ، وهو يقول لنفسه بصوت خافت :

— أريدكما من أجل حديث خاص .. حديث دموى .

* * *

عند عودة الرحلة السياحية من أول جولاتها ، كان

فى انتظارها ثلاثة من رجال الشرطة السوفيتية ، يحملون المدافع الرشاشة .. تقدم أكبرهم رتبة من مشرف الرحلة ، وسأله بالإنجليزية بصوت مسموع :

— نريد المدعو (آدمون صفوت) وزوجته .. مدير الشرطة يطلبهما شخصياً .

ابتسم (أدهم) ابتسامة صغيرة ، على حين شعرت (منى) برجفة فى أوصالها ، عندما أشار إليهما المشرف ، وقد وضعت عيناه بنظرات الشماتة .. تقدم رجل الشرطة الروسى من (أدهم) و (منى) ، وقال بلهجة جافة وهو يضع يده على كتف (أدهم) :

— تقدّم معى دون مقاومة أيها الرفيق (آدمون) . ولدهشة الجميع هزّ (أدهم) كتفيه بلا مبالاة ، وقال بلهجة ساخرة :

— ولماذا أقاوم أيها الرفيق ؟ إننى أنتظر هذا اللقاء بفارغ الصبر .

وبعد نصف ساعة تقريباً اجتاز (أدهم)

و (منى) ، بصحبة رجال الشرطة الثلاثة باب غرفة مكتب (إيفان) ، الذى ابتسم بنصر ، وعاد بمقعده إلى وراء ، واضعاً إحدى ساقيه فوق الأخرى ، وهو يقول بلهجة ساخرة وباللغة الإنجليزية :

— مرحباً بك فى موسكو أيها الرفيق (آدمون) .
ثم ابتسم بخبث ، وأردف قائلاً :

— أم أنك تفضل أن أدعوك بالرفيق (أدهم صبرى) ؟

اتسعت حذقتا (منى) ذعراً ودهشة ، على حين ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وقال ببرود :

— مرحباً أيها الرفيق (إيفان) .. سنلعب بأوراق مكشوفة إذن .

برقت عيناً (إيفان) وهو يقول :

— أنا لا أجيد اللعب أيها الرفيق (آدمون) ، ولكننى أجيد مهارات أخرى . ضحك (أدهم) ضحكة تمكّمية قصيرة ، وقال بخبث :

— كالتجسس لصالح (الموساد) مثلاً أيها الرفيق :
شحب وجه (إيفان) ، وألقى نظرة سريعة على
سكرتيره ورجال الشرطة الثلاثة ، ليتأكد أن أحدا منهم
لم يفهم هذه العبارة التي قالها (أدهم) بالإنجليزية ..
ولكن اسم (الموساد) جعل (أليكسي) يقطب
حاجبيه ، برغم عدم معرفته للغة الإنجليزية .. والنفت
(إيفان) إلى (أدهم) وقال بشراسة :
— يبدو أن الأوراق مكشوفة أكثر من اللازم أيها
الرفيق (صبرى) .. ما الذى تعلمه أيضاً ؟
توثر أحد رجال الشرطة فى وقفته .. ذلك الذى
تحدث إلى (أدهم) بالإنجليزية .. فهو الوحيد الذى
فهم هذا الحوار الذى دار بين رئيسه و (أدهم) .
وهذا ما توقعه الأخير ، وما استهدفه عندما نطق
بعبارته ، متبهماً (إيفان) بالتجسس لصالح
(الموساد) .. وعندما لاحظ (أدهم) توثر الشرطة
الروسى ابتسم وأجاب قائلاً :

٣٢

— ألا تكفيك معرفتى بعلاقتك مع (الموساد) ؟
تبّه (إيفان) فى تلك اللحظة إلى توثر الشرطة ،
وإلى فهمه للحوار ، فقال متظاهراً بالغضب :
— ما معنى هذه الأكاذيب التى تنطق بها أيها
الرفيق ؟ هل تظن أن بذرك الاتهامات سينفذك من
العقوبة ؟
ثم ابتسم ابتسامة شرسة ، وقال :
— هل تعلم أيها الرفيق (صبرى) ؟ عندى العلاج
الكافى لتشيط ذاكرتك ، وإسكات لسانك .
هزّ (أدهم) كفيه بلا مبالاة ، وقال بابتسامته
الساخرة :
— لن يفيدك قتل أيها الرفيق الخائن .
اتسعت ابتسامته (إيفان) ، وازدادت شراستها ،
وهو يقول بهدوء :
— ومن قال إننى أفكر فى هذا ؟ إن علاجك

٣٣ — رجل المستحيل — المجلد الخامس (٥)

يتلخص فى برودة (سيبريا) أيها الرفيق .. وهذا
ما نفعله عادة بالجواسيس .



٣٤

سرت رعدة الحروف فى أوصل (منى) ، عند
سماعها (إيفان) وهو يهدد بنفيهما إلى معتقل
(سيبريا) أحياء .. تلك المنطقة التى يقول عنها
الروس : إن النيران تتجمد فيها .. قليلون هم من
غادروا معتقل سيبريا أحياء .. وبرغم هذا ابتسم
(أدهم) بسخريته المعهودة ، وقال :
— كنت أفضل تأجيل هذه الزيارة لفصل الصيف
أيها الرفيق (إيفان) .. يقولون إن درجة البرودة ترتفع
فى الصيف ، لتصل إلى الصفر المئوى فقط ، وهذا
يناسب تعليمات طبيى .
ضغط (إيفان) على أسنانه غيظاً ، وقال بلهجة
تهديد :
— حتى روح الدعابة التى تتحلى بها ستجمد أيها
الوغد ، عندما أرسلكما إلى (سيبريا) .

٣٥

ثم هب واقفاً ، وعقد أصابع كفيه خلف ظهره ، وهو يقول بغضب :

— وستزحف على ركبتيك وتشد لأعقرو عنك .
وفجأة حدث أعجب شيء رآته (منى) في حياتها ، إذ تبدلت سخرية (أدهم) إلى لهجة متوسلة ، وتحولت ملامحه الساخرة إلى الملح ، واقترب من مكتب (إيفان) قائلاً :

— أرجوك يا سيدى .. كنت أمزح فقط .. أرجوك .

صاحت (منى) بغرور وتصميم :

— لا يا (أدهم) .. لا توسل أبداً .. لا ته ..
وبترت عبارتها فجأة ، واتسعت حدقتها عن آخرها ، تحرك رجال الشرطة في محاولة يائسة لإنقاذ الموقف ، عندما قفز (أدهم) كالثفهد ، مجتازاً المكتب الضخم .. وفي ثانية واحدة التفت ذراعه اليسرى حول عنق (إيفان) بقوة ، والتقطت يمينه فتاحة الخطابات المعدنية الموضوعة على المكتب ، وغرس طرفها في رقبة

٣٦



قفز (أدهم) كالثفهد ، مجتازاً المكتب الضخم .. وفي ثانية واحدة التفت ذراعه اليسرى حول عنق (إيفان) ..

— ألقوا أسلحتكم أيها الرفاق .. لا تعارضوا هذا الشيطان .

تردد الرجال لحظة ، ثم ألقى كل منهم بسلاحه ، وضم كفيه خلف رأسه .. فقال (أدهم) مخاطباً زميلته :

— ستائر النوافذ مزودة بعدد كبير من الحبال يا زميلتى العزيزة ، واعتقد أنها تكفى لتقييد هؤلاء الرجال .

نظر (إيفان) بئس إلى (منى) ، وهى تحكم وثاق الرجال الأربعة ، وقال بصوت متحشرج :

— لو تصوّرت أنك تستطيع مغادرة إدارة الأمن بهذه الطريقة ، فأنت واهم أيها الشيطان .. الخروج من هنا دون تصريح مستحيل .

ضحك (أدهم) بسخرية ، وقال :

— لو علمت بهم بلقبونى أيها الوغد ، ما نفوّهت بهذه العبارة .

٣٩

(إيفان) ، الذى صرخ بمزيج من الألم والغضب ، على حين أطلق (أدهم) ضحكة عالية ساخرة ..

توقّف رجال الشرطة بارتباك ، وظهرت الحيرة في عيونهم ، وانحجبت قوّهات مدافعهم الرشاشة إلى حيث يقف (أدهم) ممسكاً برئيسهم ، وتردد كل منهم في اتخاذ قرار فوري ، وهنا شدد (أدهم) الضغط على عنق (إيفان) ، وقال لـ (منى) بلهجة ساخرة :

— يبدو أن تمثيلي كان رائعاً إلى الحد الذى أقنعك يا عزيزتى .. كان يجب أن تتقى أن (أدهم صبرى) لا يتوسل أبداً ، حتى لو أرسلوه إلى الجحيم نفسه .

ثم خاطب (إيفان) ، وهو يفوس في عنقه قليلاً بلهجة الخطابات قائلاً :

— مَرَّ رجالك بإلقاء أسلحتهم والاستسلام فوراً أيها الوغد ، وإلا غيبت هذا التصل حتى القبض في عنقك .

صاح (إيفان) مخاطباً رجاله باللغة الروسية ، وهو يرتعد فزعاً :

٣٨

— هذا يتوقف على إطاعتك لأوامري أيها الرفيق
الوغد .

* * *

رفع حارس مكتب (إيفان) حاجيه دهشة ، ودق
الأرض بكعبه ، مؤكداً وقفته العسكرية الثابتة ، عندما
شاهد رئيسه يخرج من مكتبه ، متأبطاً ذراع (أدهم)
وخلفهما (منى) .. ولكن الحارس لم يجرؤ حتى على
إظهار دهشته للموقف ، واكتفى باختلاس النظر إلى
الثلاثة وهم يتجهون إلى الدّرج ، ثم هزّ كفيه
بلا مبالاة ، وعاد إلى وقفته المتحجرة وقد اطمأن إلى
الانتماء الزائفة المرتسمة على وجه رئيسه ، الذى كان
يقول لـ (أدهم) بالإنجليزية :

— لن يفيدك هذا الأمر أيها الرفيق (صبرى) ..
سيكشفون أمرك بسرعة ، ولن تتجح فى مغادرة الاتحاد
السوفيتى حياً أبداً .

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يمسك بقلمه بشكل
تهديدى خفى :

٤١

وأردف وهو يخرج قلم حبر عادى من جيبه :
— هل تعلم شيئاً عن عملنا أيها الرفيق
(إيفان) ؟ .. لقد فتشم حقائبنا بدقة ، ولكن أحداً
منكم لم يلمّض إلى هذا القلم البريء المظهر .. إنه
لا يحوى حبراً عادياً أيها الرفيق .. صحيح أنه أزرق
اللون ، ولكنه عبارة عن سم زعاف ، يفوق سم أفعى
الكوبرا نفسها .. وهذا القلم مزود بسن يشبه إبرة
الغلقن يا عزيزى .. هل تعلم لماذا ؟

اتسعت حدقتا (إيفان) ، وازداد احتقان وجهه
بتأثير ضغط (أدهم) على رقبته ، ونصل فتاحة
الخطابات الذى يفوس طرفه فى عنقه ، بالإضافة إلى
ذعره الشديد عندما سمع عبارة (أدهم) الأخيرة ..
فقال وهو يلهث رعباً :

— لا أملك توى قلى أيها الرفيق (صبرى) !!
ضحك (أدهم) ضحكة عالية ساخرة ، وقال
وهو يشدد ضغط ذراعه على رقبته (إيفان) :

٤٠

ذلك ناول القلم لـ (منى) ، الذى وضعته على ذراع
(إيفان) من المقعد الخلفى ، مهددة بأن تغرسه عند
أية بادرة للخيانة ..

ودار (أدهم) حول مقدمة السيارة ، واستقل
المقعد المجاور لـ (إيفان) الذى أدار محرك ، وضغط
بقدمه على دواسة البنزين .. كان لا بد من الانتظار
قليلاً قبل الانطلاق بالسيارة بسبب البرودة الشديدة ،
فحاولت (منى) القلم لـ (أدهم) قائلة :

— موقعك أفضل يا سيدى .

وكان (إيفان) كان ينتظر هذه اللحظة ، إذ أنه
دفع باب السيارة ، وقفز خارجاً فى نفس اللحظة التى
أبعدت (منى) القلم عن ذراعه ، وقبل أن يتناوله
(أدهم) .. وصاح (إيفان) بالروسية بصوت عالٍ
مخاطباً حراس المبنى :

— أطلقوا النار .. إنهما جاسوسان .. أطلقوا النار .

كان الموقف مفاجئاً للجميع ، فالتزع الحراس

٤٣

— لا داعى لقلقك أيها الوغد .. عليك فقط
الحفاظة على هذه الانتماء ، وألا غرست هذا القلم
المسموم فى ذراعك .

واصل الثلاثة سيرهم حتى مدخل إدارة الأمن ،
و (إيفان) يردّ التحيات الرسمية لرجاله ، وهو يرتعد
خوفاً من هذا الشيطان المسمى (أدهم صبرى) ،
الذى يتعلق بذراعه ممسكاً بقلم مسموم .. وما أن
أصبحا أمام سيارة (إيفان) ، حتى أسرع سائقها يتخذ
مكانه أمام عجلة القيادة ، ولكن (إيفان) قال له :

— سأقود بنفسى هذه المرة .

ظهرت الدهشة على وجه السائق ، الذى لم يعتد أن
يقود رئيسه سيارته بنفسه أبداً ، ولكنه أطاع الأمر ،
ووقف بجوار السيارة صامتاً ، على حين فتح (أدهم)
الباب الخلفى ، ودعا (منى) للركوب .. وعندما
استعد (إيفان) للجلوس أمام عجلة القيادة ، لم يكن
هناك مفر من أن يترك (أدهم) ذراعه ، ولكنه قبل

٤٢

مدافعهم الرشاشة ، وقفز السائق إلى الخلف بحركة
حاذئة ، وأسرع (إيفان) يعدو مبتعداً عن السيارة ..
كان الأمر في هذه اللحظة يعتمد على سرعة استجابة
الأطراف المتصارعة .. وهذا هو المجال الذى يبرع فيه
رجل المستحيل .. إذ قفز (أدهم) إلى مقعد القيادة
وحرك ذراع السرعة ، وانطلق بالسيارة قبل أن تنطلق
رصاصة واحدة ، ولكن عدة رصاصات من المدافع
الرشاشة التى يحملها الحراس أصابت مؤخرة السيارة ،
وهى تبعد بسرعة منزقة على الجليد الذى يغطى
الشارع .. وصاحت (منى) بمزيج من الدهشة
والدعر :

— احترس يا سيدى من جنون الانطلاق بمثل هذه
السرعة على أرض زلقة مغطاة بالجليد .

قال (أدهم) بقسوة ، وهو يغلق الباب الذى قفز
منه (إيفان) :

— اصمتى أيتها الملازم .. التوقف الآن أكثر
خطورة .

صاحت (منى) وجسدها يرتج سبب انطلاق
السيارة ، وانحرافاتنا الخطيرة :

— لن ننجح في الهرب بسيارة مدير الشرطة
يا سيدى .. كل رجال الشرطة في موسكو يحفظونها عن
ظهر قلب .. ولا تس أن عدد السيارات محدود للغاية
هنا .

قال (أدهم) بلهجة تهكمية لاذعة ، وهو يقبض
على عجلة القيادة بقوة :

— شكراً أيتها الملازم .. أنت حقاً خير رفيق لرجل
مخاطر .. إنك تعظمين المعنويات بأكثر مما يستطيعه
الأعداء .

احتقن وجه (منى) ولذت بالصمت ، على حين
أردف (أدهم) قائلاً بلهجة الساخرة :

— يا له من موقف !.. نهرب في سيارة معروفة ، وفى
قلب موسكو .. وإدارة الشرطة بأكملها فى أثرنا ..

٦ — الاختفاء ..

شعر (إيفان) بالغضب يعصف بكيانه ، وهو
يشاهد سيارته التى يقودها (أدهم) تنطلق ، غير
مبالية بالطولج ولا الرصاص الذى ينال على مؤخرتها
كالطر .. وما أن انحلت السيارة ، حتى ضرب قبضته
اليمنى فى راحته اليسرى ، وهو يضبط أنسانه غيظاً ، ثم
أسرع إلى داخل إدارة الأمن وهو يصيح بغضب :

— أبلغوا كل دوريات الأمن .. لا بد من إلقاء
القبض على الجاسوسين .. أو قتلها إذا اقتضى
الأمر ..

قال أحد الرجال برؤد :

— ألا ينبغى إخطار إدارة مكافحة التجسس
يا سيدى ؟

صاح (إيفان) بقوة ، وقد اشعل الغضب فى
ملامحه :

حسناً .. لقد كنا بحاجة إلى بعض النشاط حتى يسرى
الدفء فى أوصالنا .

انكمشت (منى) فى مقعدها مقبلة حاجبها ، ولم
تنطق بكلمة واحدة .



— سافصل أول من يفعل ذلك .. سأتولى هذا الأمر بنفسى .. هل سمعتم ؟
وأسرع يصعد إلى مكتبه ، معثفاً كل من يقابله ،
وأصدر أمراً بحل وثاق سكرتيره (أليكسى) ورجال
الشرطة الثلاثة .. وتعم (أليكسى) فى محاولة
للاعتذار :

— كدت أ تدخل يا سيدى ، ولكنى خشيت أن
أعرض حياتك الثمينة للخطر .

أشاح (إيفان) بذراعه غاضباً ، وصاح :
— انصرف الآن أيها الرفيق (أليكسى) .. سنناقش
هذا الأمر فيما بعد .. أبعد البقاء وحدى .
وقبل أن يغلق (أليكسى) الباب خلفه ، صاح به
(إيفان) :

— لا تسمح لأحد بالدخول .. وأبلغنى بتطورات
الموقف أولاً فأولاً .

وما أن أغلق (أليكسى) الباب ، حتى أخرج

(إيفان) مفتاحاً صغيراً ، وفتح به درجاً سرّياً مخفى
بمهارة أسفل المكتب ، وأخرج منه عدة أوراق ، وضعها
على المكتب ، وسلط عليها ضوء المصباح الصغير
الموضوع أمامه ، ثم أخرج آلة تصوير ميكروفيلمية
صغيرة من خزانته ، وقال لنفسه وهو يعد الآلة
للاستعمال :

— لم يعد الأمر آمناً كما كان من قبل .. لا بد من
التخلص من هذه المستندات فور تصويرها .

ثم تم بصوت خافت غاضب ، وهو يلتقط أول
الصور :

— تباً لرجال (الموساد) هؤلاء .. لم يتركوا
إرسال رجلهم ؟

استغرق تصوير المستندات لحظات طويلة ، انهمك
(إيفان) خلالها بمحاولة إتقان عمله .. وما أن انتهى
حتى فتح الحاتم الضخم الذى يزين يده اليمنى ، وأخرج
الميكروفيلم من آلة التصوير ، ووضعه فى فراغ الحاتم

الذى أعد خصيصاً لأغراض مماثلة ، ثم أخرج قداحته ،
وأشعل النار فى المستندات ، ووقف يراقبها حتى التهمتها
النيران تماماً .. وتهدد بارتياح ، فى نفس اللحظة التى
انبعث فيها صوت سكرتيره (أليكسى) من خلال جهاز
الدكتافون قائلاً :

— يوسفنى أن أزعجك يا سيدى ، ولكن هناك
أخباراً بشأن سيارتك .

ضغط (إيفان) زرّ الدكتافون ، الذى يتيح
لـ (أليكسى) سماع صوته ، وسأله باهتمام بالغ ولهفة :
— هل اعتقلوا الجاسوسين أو قتلوهما ؟

تردد (أليكسى) قليلاً ، ثم قال بارتياح :
— فى الواقع يا سيدى أنهم لم ... أعنى أن رجالنا
قد وجدوا السيارة ، ولكن

صاح (إيفان) بغضب شديد :
— ولكن ماذا أيها الرفيق ؟

قال (أليكسى) بسرعة ، وكأنه يخشى أن يغلبه
التردد مرة أخرى :



وما أن انتهى حتى فتح الحاتم الضخم الذى يزين يده اليمنى ،
وأخرج الميكروفيلم من آلة التصوير ، ووضعه فى فراغ الحاتم ..

٧ — مفاجأة وسط الثلوج ..

أمسكت (منى) كفيها بكفيها ، محاولة منهما من الارتفاع بسبب البرودة الشديدة ، وقالت وهي تتأمل (أدهم) ، الذى انهمك فى إشعال النار فى بعض الأخشاب :

— لقد ساعدنا الحظ حتى الآن يا سيادة المقدم ، ولكننا ما زلنا فى موقف عصب .

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وقال :

— أنا لا أؤمن بكلمة الحظ هذه أيتها الملازم ، وإنما أطلق عليها اسم التوفيق الإلهي ، وهذا التوفيق هو الذى يساعدنا على استيعاب الخطوات المنطقية الصحيحة فى كل المواقف ..

قالت (منى) وهي تشعر بالدفء يدب فى أوصالها ، بعد ما نجح (أدهم) فى إشعال النار :

— هل كنت تعلم موضع هذا الكوخ الجبل مسبقاً يا سيدي ؟

— لقد وجدوها خالية يا سيدي ، ولم يجدوا أثراً للجاسوسين .

مرت لحظة صامتة مملوءة بالقلق ، قبل أن يقول (إيفان) بصوت يقطر بالمرارة والغضب :

— وزعوا نشرة بأوصافهما على كل رجل أمن فى موسكو .. علقوا صورهما فى الشوارع والمخيمات الرئيسية .. اعتقلوا كل من لا يتحدث الروسية فى موسكو .. لا تركوا لهما نفرة واحدة ، ولا حتى جعر فأر للاخضاء فيه .. أريدكما قبل مساء الغد .. بأى ثمن .

ثم قطع الاتصال ، وقال لنفسه بغضب :

— قبل أن يصل ضابط (الموساد) .. تباً لهم ولل موقف الذى وضعوني فيه .

* * *

نقع فى أيدي الشرطة السوفيتية .. ولكن هذا يعنى أن مهمتنا ازدادت تعقيداً ، والوقت يمر بسرعة .

تردّدت (منى) قبل أن تقول :

— أخشى أن أقول يا سيدي ، إن مهمتنا قد أصبحت مستحيلة حقاً .

ابتسم (أدهم) بهدوء ، وقال :

— وهذا ما يجعلها أقرب إلى طبعتي أيتها الملازم ..

ثم أردف وهو يلقي ببعض الأخشاب الجافة فى المدفأة :

— المهم أن نحافظ على هدوء أعصابنا ، حتى يقودنا تفكيرنا إلى الحل الصحيح .. وخصوصاً أن الأخشاب الباقية لا تكفى وقتاً طويلاً ، وبعدها مستحتمد برداً بالتأكيد .

وعاد يقطب حاجبيه وهو يقول :

— وسنصل إلى مخرج بإذن الله .. لن نخشى هنا

أحبابها (أدهم) وهو يقطب الأخشاب المشتعلة فى المدفأة القديمة :

— تقرّبنا أيتها الملازم .. فأنا أعلم أن هذه الأكوخ الجبلية تكون خالية دائماً فى شتاء موسكو القارص .. وهى المكان الوحيد الذى يمكننا اللجوء إليه فى مثل هذه الظروف .. فمن الطبعي أن تكون أوصافنا محفوظة الآن فى كل أنحاء موسكو ، وربما فى الاتحاد السوفيتي بأكمله .

ابتسمت (منى) بقلق وقالت :

— يا لها من أخبار مطمئنة !! وكيف سنؤدى مهمتنا فى ظل هذه الظروف يا سيدي ؟ أم أننا سنقتضى عمرنا كله فى هذا الكوخ الجبل محاطين بالجليد ؟

قطب (أدهم) حاجبيه ، وقال :

— لست أنكر صعوبة الموقف أيتها الملازم .. صحيح أننا غادرنا السيارة فى الوقت المناسب ، ونجحنا فى قطع طريق طويل وسط الجليد ، حتى وصلنا إلى هنا دون أن

كالقتران وترك المستندات لتقع في أيدي (الموساد) ..
هذا هو ما أسميه المستحيل .

* * *

اجتاز شرطى سوفيتى بخطوات مترددة باب مكتب
إدارة مكافحة التجسس في موسكو ، وجلس على مقعد
قريب ، بناء على إشارة الشاب التحيل الأشقر ، الذى
يجلس خلف مكتب صغير .. ظل الشاب يتأمله فترة ،
ثم قال بصوت هادئ :

— هات ما عندك أيها الرفيق (يوريوف) :

ابتلع (يوريوف) ريقه بصعوبة ، وقال بعد فترة
قصيرة من التردد :

— أنت تعلم أيها الرفيق (ميخائيلوف) ، أننى
أعمل في إدارة شرطة أمن موسكو برتبة عريف ، وأننى
أجيد الإنجليزية .

أوماً (ميخائيلوف) برأسه علامة الموافقة ، وانتظر
صامتاً ، تاركاً الفرصة لـ (يوريوف) حتى يكمل
حديثه ، فتابع هذا قائلاً :

٥٦

— صباح اليوم أمرنى الرفيق (إيفان مالاخوف)
مدير الشرطة ، أنا وزميلين بالقبض على رجل مصرى
وزوجه ، حضرا برفقة وفد سياحى ، وأمر بإحضارهما
إلى مكبته ، وهناك تحدث إليهما بالإنجليزية ، ولقب
المصرى باسم (أدهم صبرى) ، بالرغم من أننا ألقينا
القبض عليه تحت اسم (أدومون صفوت) .

قطب (ميخائيلوف) حاجبيه ، وبان الاهتمام
الشديد على وجهه وهو يستمع إلى (يوريوف) ، الذى
تابع قائلاً :

— ولقد قال المصرى إن الرفيق (إيفان) يعمل
لحساب (الموساد) .

اتسعت حدقتا (ميخائيلوف) دهشة ، ثم اتبسم
بجئت ، وقال لنفسه :

— ها قد حانت لحظة الترقى التى تنتظرها من زمن
طويل يا (ميخائيلوف) .

ثم قال ضاعطاً على حروف كلماته :

٥٧

— لقد أمر الرفيق (إيفان) بعدم إبلاغ إدارتكم
يا سيدى ، ولكننى رأيت أن هذا واجبى .. أليس
كذلك يا سيدى ؟

قال (ميخائيلوف) مهلاً للشرطى :

— بالطبع أيها الرفيق (يوريوف) .. هذا واجب
كل مواطن سوفيتى صالح .

هدأت أعصاب (يوريوف) بعد سماعه هذه
العبارة ، واسترخى في مقعده ، استعداداً للإجابة على
الأسئلة التى بدأ (ميخائيلوف) في إلقائها باهتمام بالغ .

* * *

قال (أدهم) وهو ينظر إلى النيران المشتعلة في
المدفأة :

— سيحل الظلام بعد لحظات أيها الملازم ، ولا بد
لنا من إحضار أخشاب إضافية ، وإلا قضينا ليلتنا بين
الظلام والبرد القارس .

نهضت (منى) بقلق ، وقالت :

٥٩

— وبم أجابه الرفيق (إيفان) أيها الرفيق
(يوريوف) ؟

قال (يوريوف) :

— لقد صمت مندهشاً أولاً ، ثم ثار واتهم المصرى
بالكذب .. الأخطر يا سيدى أن هذا المصرى قد تحول
فجأة إلى شيطان ، وهجم على الرفيق (إيفان) وحول
الموقف بأكمله لصالحه ، واضطرونا للتسليم بناء على
أوامر الرفيق (إيفان) ، وخرج المصرى بصحبة الرفيق
(إيفان) ، ونجح في الهروب .

عاد (ميخائيلوف) يقطب حاجبيه بشدة ، وهو
يسأل (يوريوف) بغضب :

— هل تعنى أن المصرى قد هرب برغم أنف إدارة
الأمن ، وتحت سمعها وبصرها ؟ هذه تعد خيانة أيها
الرفيق (يوريوف) .. لماذا لم يتم إبلاغنا بهذا الأمر ؟
شحب وجه (يوريوف) ، وقال مدافعاً عن
نفسه :

٥٨

— ألم تصل إلى مخرج يا سبدي حتى الآن ؟

هز (أدهم) رأسه نفياً ، وقال :

— للأسف أيتها الملازم .. هذا أصعب المواقف التي مررت بي في حياتي كلها .. حقيقتي في الفندق وبها كل أدوات الصكر ، التي كانت ستساعدنا في مثل هذا الموقف ، وكل الأسلحة الخفية التي

قاطعت (منى) قائلة بدهشة :

— كل الأسلحة ؟ .. وهذا القلم المسنوم ؟ ..

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال وهو يحكم معطفه :

— مجرد قلم حبر عادي جداً أيتها الملازم ، ولكن أعصاب هذا الرجل هي المسومة .

ابتسمت (منى) على الرغم منها ، وقالت :

— هل تعني أننا خرجنا من إدارة الأمن ، وكنا نصحب مدير الشرطة بقلم عادى ؟! أنت تملك أعصاباً فولاذية يا سيادة المقدم .

ابتسم (أدهم) ابتسامة متهمكة ، وقال :

— حسنًا أيتها الملازم .. المهم أن نسارع بإحضار الأخشاب ، ولأضللنا طريقنا إذا ما حل الظلام .. هيا .

كان قد فتح باب الكوخ الجبل في هذه اللحظة ، ووجهه ناحية (منى) يحدلها ، عندما فوجئ بها تتراجع إلى الخلف خطوة واحدة حادة ، وعيناها تنطقان بالذعر .. فنظر أمامه بسرعة ليفاجئه مراً (إيقان) ، الذى يقف عاكفا ذراعيه مبتسماً بشراسة ، وخلفه عدد ضخم من رجال الشرطة ، يصرون مدافعهم الرشاشة إلى (أدهم) و (منى) ، وقد أحاطوا بالكوخ تقريباً ..

ابتسم (أدهم) بسخريّة ، وعقد ذراعيه قائلاً بلا مبالاة :

— أهنتك أيها الرفيق (إيقان) ، لقد أثبت أنه حتى العملاء والجواسيس يتمتعون بالذكاء .

تواجهه (إيقان) بابتسامة صفراء ، وهو يقول :

— الدخان المتصاعد من فوهة مدخنة كوخ جبلي في مثل هذا الوقت من السنة ، يثير العديد من الشكوك يا رفيق (أدهم) .. كان غباء منك أن اخترت هذا المكان بالذات .

ضحك (أدهم) ضحكة تهكمية ، وقال :

— من الصعب أن يتمتع كلانا بالذكاء يا رفيق (إيقان) .. لا بد أن يخلو أحدهما من هذه الصفة .

هز (إيقان) رأسه ، وقال :

— إذن فأنت قادر على السخريّة في مثل هذا الموقف أيها الشيطان .. هذا عجيب !

أمسك (أدهم) يده (منى) ليطمئنها ، وقال بسخريّة :

— هيا بنا إذن .. أتعشّم أن تكون إدارة الأمن قد استعدت لاستقبالنا .

ابتسم (إيقان) ابتسامة كريمة ، وقال :



كان قد فتح باب الكوخ الجبل في هذه اللحظة ، ووجه (أدهم) ناحية (منى) يحدلها ، عندما فوجئ بها تتراجع إلى الخلف ..

— الإدارة مستعدة فعلاً لاستقبالكما أيها
الشیطان .. إدارة دفن الموتى .
ثم تراجع إلى خلف رجاله ، وقال بهدوء :
— أطلقوا النيران .



٦٤

٨ — فهد الثلوج ..

أغمضت (منى) عينها بقوة ، وتوترت عضلاتها ،
في انتظار سيل الرصاصات الذى سينطلق نحوها
ورفيقها .. على حين أطلق (أدهم) ضحكة عالية
ساخرة ، وباستثناء هذه الضحكة لم يصدر أى صوت .
آخر ، بل وقف رجال (إيفان) وهم يتبادلون النظر
بارتباك وحيرة ، فصاح بهم :

— لقد أمرتكم بإطلاق النار .. كيف تمردون على
عصيان أوامرى ؟

وهنا ارتفع صوت (أدهم) ، وهو يقول ببرود
تغلب على نبراته لمحات السخرية :

— لن يجرؤ واحد من رجالك على إطلاق النار هنا
أيها الوغد .. لقد تنبهوا جميعاً إلى الحقيقة التى غابت
عن ذهنك ، ربما لأن قلوبهم لا تعمل بالحقد مثلك ..
وازدادت لهجته تهكمًا ، وهو يردف قائلاً :

م . — رجل المسجل — الجلد الخامس (٥) .

لكمة قوية ألقت المسكين بعيداً ، وأنفه الخطم ينزف
بغزارة ، على حين التقط (أدهم) المدفع الرشاش في
جزء من الثانية ، وسقط على ظهره مفترشاً الجليد
والمدفع في يده ، يصوبه إلى أكثر من خمسين شرطياً
سوفيتياً و (إيفان) .. حتى (منى) سمرتها الدهشة
في مكانها ، ولم تفق إلا عندما سمعت (أدهم) يقول
بلهجة كلها سخرية :

— آسف يا رفيق (إيفان) .. ليس من السهل
تمزيق (أدهم صبرى) بالسونكى .. لا بد من مجزر
كامل حتى يكون هناك احتمال للنجاح .

وقف رجال (إيفان) وقد ملأتهم الحيرة وساورهم
الارتباك ، ينظرون إلى رئيسهم في انتظار أوامره .. ولكن
هذا الأخير قال ، محدثاً (أدهم) بالإنجليزية :

— هل تعتقد أنك تستطيع التغلب على كل هذا
العدد ، بمدفع رشاش واحد يا رفيق (صبرى) ؟

٦٧

— دوى رصاصة واحدة كافٍ لبدء انهيار جليدى
بشع ، يدفن الجميع تحت الثلوج .. وهذا ما يدركه
رجالك جيداً يا رفيق (إيفان) .. هل رأيت أنه كان
من الغباء ألا يقع اختياري على هذا المكان بالذات
للاختفاء ؟

احتقن وجه (إيفان) غيظاً ، على حين أردف
(أدهم) قائلاً :

— ثم إننى تعمّدت إشعال النيران في المدفأة ،
ليصبح دخانها هو الفخ الذى يقودك إلىى يا رفيق
(إيفان) .

صاح (إيفان) بغضب :

— مزقوه بالسونكى أيها الرجال .. فليرتو الجليد
بدمائهم .

ولدهشة الجميع انقلب الموقف ، وبدلاً من أن يهجم
الرجال على (أدهم) وزميلته ، هجم هو عليهم
كالفهد .. واتسعت العيون دهشة عندما قفز (أدهم)

٦٦

سر (أدهم) سفيه بار بحدوثه ، وقال يهدوء :
— لست بحاجة إلى كل هذا الجهد يا رفيق
(إيقان) ، سأكتفى بإطلاق رصاصة واحدة .
ازدرد (إيقان) ريقه بصعوبة ، وقال :
— لن نحجروا على ذلك أيها الرفيق (صري) .. هذا
يعد التحارًا .

صاقت حدقتا (أدهم) ، وبرقت عيناه ببريق
مخيف ، وهو يقول بابتسامة ساخرة :
— هل تؤمن حقًا بأننى لن أجروا يا رفيق
(إيقان) ؟

شحب وجه (إيقان) ولم ينطق بكلمة واحدة ،
على حين استطرد (أدهم) قائلاً :
— والآن مَرُّ رجالك بإلقاء أسلحتهم ؛ لأنك
ستصبحنا في جولة أيها الرفيق الوغد .

* * *

توقفت سيارة الرفيق (إيقان) في طريق مقفر تحيط

به الخروج ، وكان وهو يرمقه بربو وزعجا .
— لماذا أمرتني بالتوقف هنا يا رفيق (صري) ؟
هل تنوى قتل ؟

أجابه (أدهم) ببرود يثير الرجفة في الأوصال :
— هذا يتوقف على تعاونك أو عدمه أيها الوغد .
قالت (منى) يهدوء :

— أعقد أن قتله ينهى المهمة يا سيدى ، فلن نجد
ضابط (الموساد) من يسلمه المستندات .

صاح (إيقان) بوسل وذعر :
— لا .. أيتها الرفيقة .. سأتعاون بالتأكيد ..
سأسلمكما المستندات مقابل حياتي .

قال (أدهم) بنفس الهدوء المربع :
— أعقد أننى أميل إلى رأى زميلتى أيها النعس .
صاح (إيقان) بصوت أقرب إلى البكاء :
— أرجوك أيها الرفيق المحترم .. أنتما تريدان
المستندات .. سأسلمهما لكما وتطلقان سراحى .

قطب (أدهم) حاجبيه وقال :
— ربما لو تعاونت .. حسنًا ، أين هى المستندات ؟
صاح (إيقان) بسرعة :
— فى منزلى .. سندهب إلى هناك وأسلمها لكما ..
وسأضمن لكما مغادرة الاتحاد السوفيتى .. سأوصلكما
بسيارتي إلى حدود بولندا و
صاحت (منى) مقاطعة ، وهى تشير إلى الطريق :
— انظر يا سيدى .. هناك ضوء لعدة سيارات
تقترب .

ألقت (أدهم) نظرة على الأضواء العديدة التى
تقترب بسرعة ، وقال :

— فلنستدر بالسيارة ، وننتقل بعيدًا أيها الوغد .
ولكن عدة أضواء أخرى بدت فى مرآة السيارة ،
وهى تقترب أيضًا بسرعة .. قطب (أدهم) حاجبيه
وقال باللغة العربية :
— أعقد يا زميلتى العزيزة أنهم يصدد محاصرتنا ..

لقد توصّلوا إلى مكاننا بوسيلة ما .
لم يلتفت (إيقان) إلى حوارهما ، إذ كان بصره مركّزًا
فى هذه اللحظة على الأضواء التى تزداد شدة ، وقد
أعادت إليه الأمل ، وتردّدت شفتاه فى الانفراج عن
ابتسامة نصر ، عندما هزّه (أدهم) قائلاً :
— أسرع أيها الوغد ، سنغادر السيارة لنختفى فى
الغابة المجاورة .

غادر (إيقان) السيارة بتردد ، وبدا وكأن بصره قد
التصق بالأضواء التى أصبحت قريبة جدًا ..
وقالت (منى) بقلق وهى تنظر إلى الأضواء
بدورها :

— ينبغي أن نتحرك بسرعة وإلا وقعنا فى أيديهم .
وتم التحرك بسرعة فعلاً ، وكان (إيقان) هو الذى
تحرك .. انطلق يعدو بسرعة فى محاولة يائسة للنجاة ..
كان يعدو فى اتجاه الأضواء ، وكأن شياطين الجحيم
كلها تطارده ، وهو يلوح بذراعيه ، ويصيح طالبًا
الفوت .. صاحت (منى) :

— أطلق النار يا سيدي .. اقله فهذه فرصتنا الوحيدة .

وبدلاً من أن يفعل (أدهم) هذا ، أمسك بيدها وأخذ يعدو ، مصطحباً إليها إلى داخل الغاية المغطاة بالثلوج .. صاحت (منى) بذهول :

— لماذا لم تقتله يا سيدي ؟ لقد أضعت آخر فرصة لنجاح المهمة .

ولكن (أدهم) لم يجيبها ، وإنما استمر في العدو وهو يجرها وراءه ، وينحرف يساراً بثقة ، وكأنه يعلم إلى أين يذهب وسط الثلوج والظلام ..

وفي نفس اللحظة ، كان (إيفان) قد وصل إلى سيارات الأمن التي توقفت لالتقاطه ، فقال وهو يتخذ مقعده بجوار شاب أشقر ، وهو يلهث مُجهّداً :

— شكراً أيها الرفيق .. كيف نجحتم في تعقبنا إلى هنا ؟ .. لا بد أن تسرع وإلا هرب الجاسوسان .

قال الأشقر ببرود :

— كان هذا هو الطريق الوحيد الذي يمكن التخلّاه ، دون المرور بنقط المراقبة ؛ ولذلك حاصرناه ، وكنت متأكّداً من وجودكم به .

ثم التفت إلى (إيفان) ، وقال بنفس البرود :

— أعرفك بنفسى أيها الرفيق (إيفان) .. الضابط (ميخائيلوف) من إدارة مكافحة الجاسوسية ، وأجل أمراً باستجوابك بشأن عدم إبلاغك عن الجاسوسين ، وبشأن صلتك بالخبارات المسماة بـ (الموساد) .

شحب وجه (إيفان) ، وانكمش في مقعده ، دون أن ينبس ببنت شفة .

* * *



٩ — في قبضة الشرطة ..

طرق رجال الشرطة السوفيتية باب كوخ خشبي صغير في الغاية الشاسعة ، فأطل منه رجل أشيب الشعر ، قصير القامة بشكل ملحوظ ، يدخن غليوفاً ضخماً ، وسألهم بدهشة :

— طاب صباحكم أيها الرفاق رجال الشرطة .. ما الذي دفعكم إلى طرق باب كوخي الحقيق ؟ قال أكبرهم رتبة :

— طاب صباحك أيها الرفيق ، إننا نبحث عن جاسوسين .. رجل وامرأة ، هربا في هذه الغاية . رفع الرجل حاجبيه دهشة ، وقال :

— يا آلهة الكون !.. جاسوسان دفعة واحدة ؟ وما شأنى بهذا أيها الرفيق ؟

قال الشرطي متجاهلاً السؤال :

— معدرة أيها الرفيق ، سنقوم بتفتيش الكوخ .

فتح الرجل باب الكوخ على سعته ، وقال وهو يشير إلى داخل الكوخ :

— بالطبع أيها الرفيق الشرطي .. قوموا بواجبكم . جلس الرجل على مقعد خشبي قديم ، وأخذ ينفتح دخان غليونه يهدوء ، وهو يراقب رجال الشرطة السوفيتية ، وهم يبحثون بسرعة وحذر في أرجاء الكوخ .. وسرعان ما انتهوا من مهمتهم ، وقال رئيسهم وهو يقترب من الرجل :

— لو وقع بصرك على أى أجنى في هذه الغاية ، عليك بإبلاغ إدارة مكافحة الجاسوسية في الحال .. هل فهمت أيها الرفيق ؟

أوماً الرجل برأسه إعجاباً ، وقال :

— بالطبع أيها الرفيق ، هذا واجب كل مواطن سوفيتي صالح .

غادر رجال الشرطة كوخ الرجل ، ووقف هو يراقبهم يهدوء من خلف نافذة زجاجية حتى ابتعدوا ، ثم

قال بنفس الهدوء وهو يعيد خشو غليونته :

— ها قد انقشعت الغيوم ، وليس علينا سوى فتح النوافذ ..

وبهدوء أراح المقعد الخشبي القديم ، وأمسك بحلقة صغيرة مثبتة تحته ورفعها ، كاشفاً غرفة سرية أسفل الكوخ .. قفز (أدهم) برشاقة من خلال فتحة الغرفة ، ومدّ يده يساعد (منى) على الصعود ، وهو يقول للرجل :

— أحسنت يا (هاشم) .. كنت تتحدث كسوفيتي أصيل ..

ابتسم (هاشم) بهدوء ، وقال وهو ينفث دخان غليونته :

— تلميذك يا سيادة المقدم ..

نفضت (منى) الغبار عن معطفها ، ثم قالت وهي تقطّب حاجبها بغضب :

— هل يتكبر السادة بتذكر أنني أيضاً ضابطة في



قفز (أدهم) برشاقة من خلال فتحة الغرفة ..

— لن يتعرفه أحد في هذا الزيّ يا زميلتي العزيزة .. فهو ليس بدينّا أو أشيب الشعر ، وإنما هو يجيد التكرّ بأكثر مما أجيده أنا تقريباً ..

ابتسم (هاشم) وقال :

— عفواً يا سيادة المقدم .. أنت أستاذ في هذا المجال ..

قال (أدهم) باهتمام :

— هل تحمل أدوات التكرّ معك يا صديقي ؟

ابتسم (هاشم) ، وقال وهو يشير إلى الغرفة الخفية :

— هناك صندوق كامل ، سيثير شهيتك يا سيادة المقدم ..

قاطعتهما (منى) قائلة :

— ولكن لماذا لم تطلق النار أمس على (إيفان) يا سيادة المقدم ؟ كانت هذه فرصة ذهبية لإنهاء المهمة بنجاح ..

الخبايا المصرية ، وأن عليكم توضيح هذه الألغاز لي ..

ابتسم (هاشم) بهدوء ، على حين قال (أدهم) بجذبة :

— (هاشم) واحد من ضباط الخبايا المصرية ، يقيم في الاتحاد السوفيتي منذ عام كامل ، متحلاً صفة مهندس مصري ، يقوم بالدراسة من أجل الدكتوراه ، وهو حاصل على ثقة الجميع هنا ، ولقد استأجرنا هذا الكوخ منذ وصوله إلى هنا .. وهو بالمناسبة حاصل على تصريح تجوال ، ولهذا تم الاتفاق على تواجده في الكوخ واستعداده لاستقبالنا في حالة الطوارئ ، حتى تنتهي مهمتنا ..

قالت (منى) وهي تجلس على المقعد الخشبي :

— لهذا توجهنا إلى هنا بسرعة .. ولهذا أيضاً اخترت هذا المكان لتعوق فيه عندما اصطحبنا (إيفان) .. ولكن ألا يعرّض هذا (هاشم) للخطر ؟

ضحك (أدهم) ، وقال :

قال (أدهم) وهو يخلع معطفه :

— ربما لو كان قد أخبرنا بمكان المستندات لفعلت

أيها الملازم .

ثم ابتسم بخبث ، وقال :

— ولكنه ارتكب العديد من الأخطاء ، حتى أنني

أتساءل إذا ما كنت سأجده في مكتبه عندما أزوره

هذا الصباح ، أم سأضطر إلى زيارته في سيبيريا .

* * *

سار شاب أشقر الشعر ، أزرق العينين ، كث

الشارب ، بهدوء بجوار إدارة أمن موسكو ، تتأبط

ذراعه فتاة شقراء ، الضت إليها قائلاً :

— لك أن تطمئني الآن على براعة تنكرك يا زميلتي

العزيزة .. فلها نحن أولاء بجوار إدارة أمن موسكو ،

ولم يعرفها أحد .

ابتسمت (منى) ، وقالت :

— نعم يا سيدي .. ما لم نغفوه بكلمة واحدة .

٨٠

ضحك (أدهم) ، وقال :

— فلتظاهري إذن أنك بكماء ، ولن يكشف أحد

أمرك .

قطعت (منى) حاجبها ، وقالت :

— المهم أن تنتهي من هذه المهمة بسرعة يا سيدي ،

فسيصل ضابط (الموساد) مساء اليوم .

رأت (أدهم) على ذراعها مطمئناً ، وقال :

— سننجح بإذن الله أيها الملازم .. ولكن لا بد لي

من إجراء مكالمات تليفونية أولاً .

رفعت (منى) حاجبها دهشة ، وقالت :

— كيف ذلك ، وأنت لا تحيد اللغة الروسية

يا سيادة المقدم ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وقال :

— سأتظاهر بإجادتي إياها يا عزيزتي .. انتظري في

هذه الحديقة الثلجة ، سأجري المكالمات من هذا الحانوت

المجاور .

٨١

جلست (منى) على أريكة خشبية في الحديقة ،

ونظرت إلى (أدهم) وهو يصعد عنها متجهاً إلى

الحانوت الصغير ، وتساءلت في نفسها : كيف سيجري

هذه المكالمات ؟ وكيف سيقنع صاحب الحانوت بما

يريده ؟

وغاب (أدهم) داخل الحانوت ، في نفس اللحظة

التي سمعت فيها صوتاً يتحدث بها بالروسية ، ويد ثقيلة

توضع على كتفها ..

التفت (منى) لتجد اثنين من رجال الشرطة

السوفيتية يتحدثان إليها ويعينهما طافحة بالرية .. لم

تفهم (منى) كلمة واحدة مما قالا ، وشعرت

بالخوف ، وحاولت اتباع نصيحة (أدهم) ، والتظاهر

بالبكم ، ولكن محاولتها باءت بالفشل .. فقد فهم

الشرطيان بسرعة أنها لا تفهم كلمة واحدة مما يقولانه ،

فأصرّا على اصطحابها إلى إدارة الأمن ..

ألقت (منى) نظرة منزوعة على الحانوت ، ولكن

٨٢

(أدهم) لم يظهر على بابه .. فسارت مع الشرطين

بامتسلا ، وقبل أن تغيب داخل إدارة الأمن تحت

بطرف عينها (أدهم) ، وقد وقف على باب الحانوت

مقطب الحاجين ، وعيناه تنظران إلى ما يحدث .

* * *



٨٣

١٠ - قيو العذاب ..

جلس (إيفان) على مكتبه يتأمل (منى) فترة .. ثم
افتر ثغره عن ابتسامة شرسة ، وقال بالإنجليزية :
— حسنًا أيتها المصرية الحسنة .. صحيح أن شعرك
الأشقر وعينيك الزرقاوين ، تشبهان ما يمتاز به الجنس
البلطيقى ، ولكن هذه البشرة السمراء المائلة للبياض
تميز شعوب البحر المتوسط .. لن يحدع تنكرك المنقن
هذا خيرًا منى .
قلدت (منى) ابتسامة (أدهم) الساخرة ،
وقالت :
— خير في التجسس لحساب (الموساد) يا رفيق
(إيفان) .. أليس كذلك ؟
احتقن وجه (إيفان) غضبًا ، وقال :
— محاولة فاشلة لتقليد زميلك أيتها المصرية ..
ولكنك لست أنه شيطان ، أما أنت فامرأة صغيرة
لا تحتل الألم ..



ولست أدري كيف ستنتهى هذه المسألة ؟ .. لن أغفر
لكما هذا أبدًا .

ثم ابتسم بقسوة وهو يقول :
— سأمنحك فرصة لإثبات نظريتك عن احتمال الألم
أيتها المصرية .. سأرسلك فى الحال إلى قيو العذاب ..
إلى (هيلجا) .

* * *

دخل جنرال روسى طويل القامة ، له شعر أبيض
براق إلى إدارة مكافحة الجاسوسية .. وما أن رآه
(ميخائيلوف) حتى هبّ واقفًا ، وعظمه باحترام
ورهة ، وقال :

— مرحبًا بك فى إدارة مكافحة الجاسوسية ، أيتها
الرفيق الجنرال (غوريف) .. هذه هى المرة الأولى التى
تشرف فيها الإدارة بزيارتك .
قال الجنرال (غوريف) بلهجة جافة ، ونبرات
حازمة :

وتحوّلت نبراته إلى القسوة ، وهو يردف قائلاً :

— وستخبرينى أين هو ، وإلا سلمتك لامرأة مطلق
تدعى (هيلجا) .. وهى لا تتميز بالعطف النسائى ،
وإنما تتلذذ بالقسوة ، وتستطيع انتزاع المعلومات من أفواه
أشد الرجال تحملاً للعذاب ، فما بالك بالنساء ؟
شعرت (منى) برعدة تحتاحها ، ولكنها تماسكت ،
ورسمت بصعوبة ابتسامة على شفيتها ، وهى تقول :
— خطأ أيها النذل .. إننى أرى أن النساء أشد
احتمالاً للألم من الرجال ، وعملية الإنجاب وحدها تؤكد
ذلك .

خبط (إيفان) على مكتبه بشراسة ، وقال :

— لقد سببتنا فى إزعاجنا رهيبًا منذ وصولكما إلى
موسكو ، أيتها المصرية أنت ورفيقتك .. هذا الشيطان
الذى يتحرك وكأنه فى دولته .. لقد أشعلتنا فى نفسى
قلقًا بالغًا ، وتسببتنا فى وقوعى أمام إدارة مكافحة
الجاسوسية فى موقف المتهم .. ولقد كان موقفًا عصيبًا ،

— الأمر الذى أتيت من أجله يستحق هذه الزيارة
أيها الرفيق (ميخائيلوف) .. لقد حضرت بسبب
إهمالكم الجسم .

شحب وجه (ميخائيلوف) ، وقال بصوت مرتعد :
— إهمالنا ؟.. كيف يا سيدى ونحن نقوم بعملنا
بدقة و

قاطعته الجنرال (غوريف) بلهجة قاسية قائلاً :
— تقومون بعملكم بدقة ؟.. وكيف إذن تركتم
جاسوساً على رأس إدارة الأمن طوال هذه الفترة ؟.. ألا
تسمى هذا إهمالاً ؟

ازداد شحوب (ميخائيلوف) ، وقال بارتباك :
— إذا كان الرفيق الجنرال يقصد الرفيق
(إيفان) ، فقد استدعيته مساء أمس ، وأجرينا له
تحقيقاً طويلاً ، ثم

صاح الجنرال مقاطعاً بغضب :
— ثم سمحتم له بالانصراف .. أليس كذلك ؟..

هذا إهمال جسم أيها الرفيق .. إهمال كفيف بأن يفقدك
وظيفتك .. لا ينبغي أن يعود إلى منصبه قبل التأكد من
براءته .. ثم إننى أمتلك من الأدلة ما يذهب به رأساً إلى
سبيلها .

كان وجه (ميخائيلوف) مصفراً كوجوه الموتى ،
وهو يقول بصوت مبحوح :

— لديك أدلة أيها الرفيق ؟.. وأين هى ؟
ألقى الجنرال بشرطى تسجيل على مكتب
(ميخائيلوف) ، وقال :

— هذا تسجيل لمكالمة أجراها مع أحد رجال
(الموساد) منذ شهر واحد ، وعدة مكالمات أخرى
مشبوهة .. هذا بالإضافة إلى تصرفاته المريبة بشأن
الجاسوسين منذ صباح أمس .. أيكفيك هذا أيها الرفيق
أم تحتاج للمزيد ؟

كان صوت (ميخائيلوف) مسموعاً بصعوبة لجفاف
حلقه ، وهو يقول :

— يكفى جداً يا سيدى ، بالإضافة للمعلومات
الأخرى التى لدينا .

صاح الجنرال بغضب :
— وماذا تنتظر إذن .. لا بد أن يُلقى القبض عليه
في الحال .. وسأقله بنفسى إلى سيبيريا .. هذا جزاء
الخونة والجواسيس .

بعد نصف ساعة من هذا الحوار ، كان (إيفان)
ينزع خاتمه الضخم من إصبعه ، ويسلمه إلى رجل
تحيل ، أجدع الأنف ، ويقول :

— يسرى أنك قد وصلت مبكراً أيها الرفيق
(موشى) ، فموقفى صعب جداً منذ صباح أمس ،
بسبب هذا الشيطان المصرى وزميلته .

تناول (موشى) الخاتم ووضع فى بنصره ، وهو
يقول :

— أحسنت بمقابلتى هنا يا سيد (إيفان) ، ولكن

يجب أن تصرف فى الحال ، وإلا أثار وجودك العديد
من الشكوك .

ازدرد (إيفان) بيقه ، وقال :
— بالطبع أيها الرفيق (موشى) ، ولكن لا تس
وعود دولتك .. لقد وعدتولى بمليون من الدولارات ،
ومساعدتى على الحصول على اللجوء السياسى فى
الولايات المتحدة .

قال (موشى) وهو يطمئن على الميكروفيلم الموجود
بداخل الخاتم :

— طبعاً .. طبعاً أيها الرفيق (إيفان) .. دولتنا
لا تتخلى عن عملائها المخلصين أبداً .

تتهدد (إيفان) ارتياحاً ، وأسرع يغادر غرفة
الفندق .. وما أن أغلق الباب وراءه حتى ضحك
(موشى) بتهكم ، وقال :

— نساعدك على اللجوء السياسى ؟ أنت واهم
يا سيد (إيفان) .. إنك أكثر فائدة لنا هنا .

ثم رفع سماعة الهاتف ، وطلب من موظف

صوتاً مألوفاً :

— احضر إلى غرفتي في الحال يا (موشى) ومعك (بيز) .. لقد حصلنا على المستندات .

وأعاد السماعة قبل أن يتلقى ردّاً ، ثم ارتعد جسده ، واتسعت حدقاته عندما جاءه صوت ساخر يقول بهدوء من خلفه :

— أشكرك على هذه المعلومات أيها الوغد .. وأعتقد أننى سأكون ممثلاً لك إذا ما سلمتني هذه المستندات بهدوء ..

استدار (موشى) إلى مصدر الصوت ، وهاله مراه رجل طويل ، عريض الكتفين ، أشقر الشعر ، يقف متمسكاً بسخرية ، ويده ممسكة بمسدس ضخيم ، مصوب إلى حيث يقف .

* * *



استدار (موشى) إلى مصدر الصوت ، وهاله مراه رجل طويل ، عريض الكتفين ، ويده ممسكة بمسدس ضخيم ..

١٢ — الشيطان الاشر

رفع (موشى) ذراعيه فوق رأسه ، وضائق حدقاته وهو يتأمل الأشقر الذى يهدده بمسدسه ، ثم ما لبث أن تمالك أعصابه ، فقال :

— أية مستندات أيها السيد ؟ إنما نتحدث عن أوراق خاصة بأعمال تجارية .

ضحك (أدهم) ضحكة تهكمية عالية ، وقال : — ألم تعرفنى بعد أيها الوغد ؟ ربما خدعتك ملائمتي الروسية .. إنها ملاح زائفة ، يا رجل .. أنا ملائمتي الحقيقية فتحفظونها جيداً في (الموساد) .

ظهر التساؤل على وجه (موشى) ، فأردف (أدهم) قائلاً بسخريته المعهودة :

— أنا المصرى الذى تلقبونه بالشيطان .

تراجع (موشى) بخدة وفزع إلى الوراء ، واتسعت حدقاته وهو يتمم بدهشة :

— مستحيل ! (أدهم صبرى) ؟ .. يا لسوء

الحظ !!

وفجأة تعلقت عينا (أدهم) بالخاتم الذى يزين يد (موشى) ، وقطب حاجبيه في محاولة للتذكر ، وسرعان ما انترتغره عن ابتسامة هي مزيد من الثقة والسخرية ، وقال :

— يبدو أننى كنت محققاً حين تنبعت الرقيق (إيفان) إلى هنا .. ها هو ذا قد أهداك خاتمته الضخم ، ويبدو أن هذا الخاتم له مميزات خاصة أيها الوغد ؛ ولذلك سأقبله هدية منك .

شحب وجه (موشى) ، وحاول أن ينطق بكلمة ، في نفس اللحظة التى فتح فيها رجلان ضخمان باب الغرفة ، وتسمرّا على مراه (أدهم) وهو يصوب مسدسه إليهما ، وصاح (موشى) محذراً :

— اخترسا .. إنه الشيطان (أدهم صبرى) .

انقل شحوب وجه (موشى) إلى زميليه ، عندما

سمعا باسم (أدهم) ، الذى ابتسم ساخرًا ، وقال :
— والآن أيها الوغد ، ناولنى هذا الخاتم ، وليذهب
كل منا فى طريقه .

خلع (موشى) خاتم (إيقان) باستسلام ، ومدَّ
يده يناوله إلى (أدهم) .. وفجأة قذف بالخاتم فى وجه
(أدهم) ، وصاح بزميليه :

— هلمًا يا رفاق .. سنقتضى على الشيط ...

ولكن عبارته توقفت عندما الصق فكاه ، وتحطمت
أسنانه ، إثر لكمة قوية من قبضة (أدهم) اليسرى ، فى
نفس اللحظة التى ركل فيها أحد الرجلين الضخمين
المسدس الذى يحمله (أدهم) ، وقفز الثانى ليطوقه
بذراعيه .. وتحرك (أدهم) بسرعة ومهارة ، فطلقى
القاذف بقبضته اليمنى غائصًا فى معدته ، وردَّ الركلة إلى
الرجل الأول فى وجهه ، ثم قفز عاليًا وهو يطلق صيحة
الكاراتيه المميزة ، لتصيب قدمه اليمنى أنف أحد
الرجال ، وتستقر اليسرى فى عنق الثانى .. وما أن

لمست قدماه الأرض مرة أخرى ، حتى تحركت قبضته .
بسرعة مذهلة ، وتفجرت الدماء من أنف أحد
الرجلين ، وهوى الثانى فاقد الوعي ، وهو يقبض على
معدته بألم شديد ، ثم امتدت يد (أدهم) لتجذب
(موشى) من عنقه ، قبل أن يصل إلى المسدس الملقى
أرضًا ، وشعر (موشى) وكأن قبلة قد تفجرت فى
فكّه ، أعقبها أخرى فى معدته ، وثالثة بين عينيّه ، ثم
لُفَّه ظلام دامس ، وفقد إحساسه بالزمن ..

وبعدوء مدَّ (أدهم) يده يتناول الخاتم الضخم
والمسدس ، دسَّ المسدس فى جيبه ، وفتح الخاتم ،
وابتسم بسخرية وهو يتناول الميكروفيلم من داخله ،
ويتأمله على ضوء مصباح الغرفة ، ثم يدسه فى جيبه ،
ويفتح الباب بهدوء ، ويسير بثقة إلى خارج الفندق .

* * *

شعر (إيقان) بقلق بالغ ، عندما شاهد السيارة
الخاصة بإدارة مكافحة الجاسوسية تقبع أمام إدارة

٧٢ — رجل السجل — الخلد الدامى (٥)

الأمن ، ولكنه عبر باب إدارة الأمن وهو يجز قدميه
بصعوبة ، وما أن وصل إلى مكتبه حتى شحب وجهه ،
عندما شاهد (ميخائيلوف) عاقدا ذراعيه ، محاطًا
برجال إدارة المكافحة ، وتغلخلت ركبته عندما سمعه
يقول بحزم وجفاء :

— رفيق (إيقان) .. أنت مقبوض عليك بتهمة
التجسس لحساب (الموساد) ، ولدينا الأدلة الكافية .
سقط (إيقان) منهارًا على أحد المقاعد المجاورة ،
ودفن وجهه فى راحتيه ، على حين صوب رجال الإدارة
مدافعهم الرشاشة إليه ، ووضع اثنان منهما أكفهما
على كفيه بقوة .

* * *

تصيب العرق على وجه (منى) ، وضغطت على
أسنانها ، محاولة كم صيحة ألم كادت أن تفلت من بين
شفتيها ، عندما أطفأت (هيلجا) سيجارتيها المشتعلة فى
كفها .. ابتسمت (هيلجا) وهى تشاهد الألم المرتسم

على وجه (منى) ، وقالت بقسوة :

— والآن أيها الجاسوسة الحسناء ، أقررت
الاعتراف أم أواصل عملى المتع ؟

ثم أمسكت بشعر (منى) وجذبه بشدة ،
وقالت :

— إنك لم تتذوق بعد أسلوب (هيلجا) الخاص فى
استخراج الكلام من أفواه البكم أيها المصرية ..
وما دمت تصرين على الصمت ، فسأتبع معك أسلوبنا
ديمقراطيًا .

وتركت شعر (منى) ، وابتسمت بشراسة وهى
تقول :

— سأترك لك الخيار .. ماذا تفضلين ؟ أن أشعل
النار فى شعرك الجميل ؟ أم أنزع أظفارك الطويلة ؟
ارتعد جسد (منى) ، ولكنها لم تنفث بكلمة ، مما
أشعل الغضب فى نفس (هيلجا) .. فجذبتها مرة
أخرى من شعرها ، وصفعتها بقوة وهى تقول :

— أيتها الغيبة .. سترحفين على ركبتك طالبة الرحة
عندما

وفجأة قاطعها صوت (ألكسى) وهو يقول :
— كفى أيتها الرفيقة (هيلجا) .. سنسلم
الجانسوسة إلى إدارة المكافحة .

انظرت إليه (هيلجا) بحدة ، فقد كان وصوله إلى
قبو العذاب مفاجئاً لها ، وكان يقف بجوار (ألكسى)
شاب أشقر الشعر ، يرتدى زى ضباط مكافحة
الجانسوسة ، وقد وقف منتصباً وكفاه خلف ظهره ..
وقال (ألكسى) مقدماً إياه إلى (هيلجا) :

— الرفيق (استجروف) من إدارة المكافحة ، وقد
حضر لتسلم الجانسوسة ، بعد أن تم القبض على الرفيق
(إيفان) .

امتنع وجه (هيلجا) ، وقالت :
— كنت أنفذ الأوامر فقط يا رفيق
(استجروف) .. وهذه الفتاة ترفض التفوه بكلمة



فجذبها مرة أخرى من شعرها وصطحبها بقوة وهي تقول :
« أيتها الغيبة ، سترحفين على ركبتك طالبة الرحة » ..

قال (ألكسى) وهو ينظر إلى (استجروف) ،
من خلال مرآة السيارة :
— نعم أيها الرفيق .. ولكن لا تس وعدك لي
باصطحابي معكما .

ابتسم (استجروف) وتبدلت لهجته إلى صوت
مألوف وهو يقول بالإنجليزية :
— بالطبع يا صديقي .. المخابرات المصرية لا تتخلّى
عن رجالها أبداً .

صاحت (منى) بمزيج من الدهول والفرحة
العارمة :
— (أدهم) !! مستحيل !! ولكنك لا تتحدث
الروسية .

ابتسم (أدهم) ابتسامة خيثة ، وقال :
— من قال هذا أيتها الملازم ؟ .. لا أعتقد أنني نفيت
علمي باللغة الروسية !
رفعت (منى) حاجبها دهشة ، وقالت :

واحدة ، برغم ما أذقته إياها .
أخذ (استجروف) يتأمل وجه (منى) ببرود ، ثم
قال :

— حلّى وثاقها أيتها الرفيقة (هيلجا) ، سأصحبها
إلى إدارتنا ، حيث ستكلم حتى لو كانت غرساء ..
لا بد أن نخبرنا عن مكان زميلها المهرب .

لم تفهم (منى) كلمة واحدة من هذا الحوار الذى
دار باللغة الروسية ، ولكنها فهمت أنه هناك جديد فى
الأمر ، عندما حلت (هيلجا) وثاقها ، وسلمتها إلى
(استجروف) ، الذى جذبها بقسوة وسلمها إلى
(ألكسى) ، وسار أمامهما بعجرفة ، حتى غادروا
إدارة الأمن ، واستقلوا سيارة قادها (ألكسى)
بنفسه ، فى جوٍّ من الصمت التام ، حتى قال
(استجروف) محدثاً (ألكسى) بعجرفة :

— هل الطائرة التى طلبتها معذة أيها الرفيق
(ألكسى) ؟

— ولكنى فهمت هذا عندما أخبرت موظف الاستقبال فى الفندق ، وإصرارك الشديد على التحدث بالإنجليزية أمام (إيفان) .

ضحك (أدهم) ، وقال :

— ولكنك لم تسألينى إذا كنت أجيدها أم لا يا عزيزتى .. ثم إن السبب الرئيسى فى نجاح عطلتى ، هى أنهم متأكدون أننى لا أجد كلمة واحدة باللغة الروسية .

أسكت (منى) برأسها ، وقالت :

— هذا يسبب لى الصداع ، لم أعد أفهم ما يحدث هنا .. قد أفهم أنك تحيد الروسية ، ولكن ما الذى دفع (أليكسى) لمساعدتك ؟

ضحك (أدهم) ضحكة قصيرة ، وقال :

— (أليكسى) عميل للمخابرات المصرية يا زميلتى العزيزة ، هو الذى أخبرنا بأمر (إيفان) منذ البداية ، وهو الذى سجل المكالمات التى أثبتت تورطه ، وهو

١٠٤

الذى زودنى بالملابس الرسمية ، التى ساعدتنى على إنجاح عطلتى المعقدة .. وسوف يصحبنا إلى مصر ، بعد أن غامر باقتضاح أمره أمام (هيلجا) ، التى ستكشف بالطبع أنه لا وجود لمن يدعى (استجروف) فى إدارة المكافحة .

ضحكت (منى) بتوتر ، وقالت :

— يسعدنى أن يصحبنا (أليكسى) إلى مصر .. هذا لو نجحنا نحن فى ذلك .

* * *



١٠٥

١٢ — طائرة الهروب ..

رفع (ميخائيلوف) سماعة الهاتف ، وطلب رقم الجنرال (غوريف) بسعادة ، وهو يمتنى نفسه بالترقية بعد هذا النصر العظيم .. وما أن جاءه صوت (غوريف) حتى قال :

— طاب مساؤك يا سيدى ... أردت أن أبلغك بأننا قد ألقينا القبض على الرفيق (إيفان مالاخوف) بتهمة التجسس لحساب (الموساد) ، وقد حصلنا منه على

قاطع (غوريف) قائلاً بدهشة :

— (إيفان مالاخوف) ؟ .. قائد الشرطة ؟ .. وهل اعترف ؟

ارتبك (ميخائيلوف) ، وقال :

— نعم يا سيدى .. لقد أدلى باعتراف كامل ، وتوصلنا من خلال اعترافه إلى القبض على ثلاثة من

١٠٧



رجال (الموساد) في قلب موسكو ، ولدنيا الآن ملف
ضخم ، كفيل بإرسالهم جميعاً إلى سيبيريا .
نقلت أسلاك الهاتف صوت (غوريف) وهو يقول
بدهشة :

— هذا عجيب ! أعجب ما حدث حتى الآن !
مدير الشرطة نفسه عميل للموساد ؟
قال (ميخائيلوف) ، محاولاً كسب رضاء الجنرال
(غوريف) :

— لك الفضل الأول في ذلك بالطبع يا سيدي ..
فلقد سلّمنا دليلاً كافياً عند زيارتك صباح اليوم ،
وهذا

قاطعته (غوريف) قائلاً بغضب :
— هل أصابك الجنون أيها الرفيق ؟ لم أذهب
لزيرة إدارتكم أبداً .
رفع (ميخائيلوف) حاجبيه دهشة ، وقال
برؤد :

ولكنني استقبلتك بنفسى صباح اليوم أيها الرفيق
الجنرال ، و

صاح (غوريف) غاضباً :
— قلت إن هذا لم يحدث أبداً أيها الرفيق .. سأحقق
معك في هذا الشأن .

ثم أغلق الخط غاضباً .. ازدادت دهشة
(ميخائيلوف) وهو يضع السماعة ، ثم صاح فجأة :
— يا للشيطان !! لا بدّ أنه هذا الداهية الذي
أخبرنا به (إيفان) .

وتناول سماعة الهاتف بسرعة ، وطلب رقم قبو
العذاب ، وبعد حديث قصير مع (هيلجا) وضع
السماعة غاضباً ، وصاح :

— إنه هذا الشيطان بلا شك .. لقد أنقذ رفيقته ،
ولكنه لن ينجو مني أبداً .. أبداً .
أخذ يسير في الغرفة جيئة وذهاباً بقلق ، وهو يقول
لنفسه :

— أين أذهب لو كنت مكانه ؟ ستكون مهمتي
التالية هي محاولة الهروب خارج الاتحاد السوفيتي ..
كيف ؟ .. سأحاول الحصول على وسيلة مواصلات ..
سيارة ، أو

ثم توقف فجأة ، وصاح بصوت عال :
— يا إلهي !! طائرة ؟ هذا الشيطان يمتاز بالجرأة
والتهور ، وسأحاول الحصول على طائرة بالطبع ..
أسرع يتناول سماعة الهاتف مرة ثالثة وهو يصيح :
— لا بدّ من إبلاغ المطارات الحربية .. لا بدّ من
منع هذه المحاولة .. لا بدّ .
* * *

قال الضابط المكلف حراسة المطار ، وهو يتأمل
(أدهم) بقلق :

— لست أدري ماذا أفعل أيها الرفيق
(استجروف) ؟ .. هذه هي المرة الأولى التي يواجهني
فيها مثل هذا الموقف المعقد !

قال (أدهم) ببرود ، وقد تظاهر بالغضب :
— التصريح الذي بيدك واضح وصرح أيها
الرفيق .. هذا أمر بأن تسلّمني طائرة (ميج) مزوّدة
بالوقود ، والقذائف من أجل مهمة تتعلق بمكافحة
الجاسوسية .

هزّ الضابط السوفيتي رأسه ، وقال :
— نعم يا سيدي ، التصريح واضح ، ولكنها المرة
الأولى التي يحدث فيها هذا .

قال (أليكسي) :
— ألم تلقّ مكالمة تليفونية تؤكد هذا أيها الرفيق ؟
قطّب الضابط حاجبيه ، وصمت فترة ، ثم قال :
— حسناً يا سيدي .. سأسلّمك الطائرة ، ولكنك
سرعّع بتسلّمها .

ابتسم (أدهم) ، وقال :
— حسناً أيها الرفيق المخلص .. ولكن أسرع ..
فمهمتنا عاجلة وخطيرة .



شحب وجه الضابط .. كان من المستحيل إيقاف الطائرة
بعد أن ازدادت سرعتها إلى هذا الحد ، وقاربت الإقلاع ..

اتخذ الجميع مقاعدهم في الطائرة الحربية الصغيرة ،
وبدأ (أدهم) في إدارة المحركات ، وبدأت الطائرة في
التحرك بهدوء على أرض المطار .. عندما أسرع أحد
الجنود إلى الضابط وهو يصيح :

— أوقف الطائرة أيها الرفيق .. إنهم جواسيس ..
لقد وصلت إشارة بذلك الآن .

شحب وجه الضابط .. كان من المستحيل إيقاف
الطائرة بعد أن ازدادت سرعتها إلى هذا الحد ، وقاربت
الإقلاع ، فصاح في رجاله بقوة :

— أطلقوا النار .. حاولوا إيقاف الطائرة .
ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، عندما
أخذ الجنود يطلقون النار على الطائرة التي أقلعت بسرعتها
البالغة ، في اتجاه غروب الشمس .

* * *

ولكن (أدهم) جذب مقود الطائرة بهدوء ، فارتفعت
إلى السماء بصورة عمودية ، ثم انحرف بها يسارًا بقوة ،
وعاد يهبط بها كالتدبيرة فوق المقاتلات السوفيتية ، وهو
يطلق نيران مدفع الطائرة ..

تشبّست المقاتلات الروسية بسرعة على هيئة نافورة
مائية ، على حين اشتعلت النيران في ذيل إحداها ،
وانقضت المقاتلات السبع الباقية على طائرة (أدهم) ،
تدفعها الرغبة في الانتقام لزميلتها .. ولكن (أدهم)
دار دورة رائعة سريعة جعلته خلف المقاتلات ، وعاد
مدفعه الرشاش ينطلق ، مشعلًا النيران في مقاتلتين
آخرين .

وعندما استدارت المقاتلات الخمس لمواجهة اندفع
وسطها بجرأة لا مثيل لها ، وبأسلوب يخالف القواعد
المتبعة في الطيران ، حتى أن التخلخل الحادث من جراء
هذا أدى إلى اصطدام مقاتلتين سوفيتين ببعضهما بعض
وتعطمهما تمامًا ، في نفس اللحظة التي صاح فيها
(أليكسي) بذهول :

١٣ — المقاتل الشرس ..

أطلق (أدهم) العنان لسرعة الطائرة الفائقة ، وقال
بهدوء :

— الوقود الذي معنا يكفي لوصولنا إلى القاهرة ،
مروّرا بالبحر الأسود ، وتركيا ، والبحر المتوسط .. هذا
لو انطلقنا في خط مستقيم في اتجاه الجنوب ..

قالت (منى) بقلق :

— المهم أن نغادر الاتحاد السوفيتي ، حتى
لو سقطت بنا الطائرة بعد ذلك .

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وقال :

— يبدو أنهم يرفضون مساعدتنا على ذلك ،
ويصرّون على إسقاطنا فوق روسيا أيّتها الملازم ..

ومن خلال زجاج النافذة ، شاهدت (منى) عددًا
من المقاتلات السوفيتية من طراز (ميغ) ، وهي تنقضّ
على طائرهم في تشكيل ثنائي ، فصاحت بفزع ..

— هذا رائع .. مستحيل .. لا يصدقه عقل ..
هذه أروع مناورة قتالية رأيتها في حياتي .. وأكثرها
جرأة .

أما (منى) فقد انكمشت في مقعدها ، وقد تملكها
الذعر وهي تنظر إلى (أدهم) الذي قطب حاجبيه ،
وانطلق بالطائرة بأقصى سرعة يمكنه بلوغها ، وارتعد
جسدها عندما سمعته يقول بسخرية :

— لقد ابتعدت المقاتلات الباقية .. يبدو أنهم
سيطلقون نحرنا أحد صواريخهم المضادة للطائرات .. هذه
الصواريخ اللعينة لم تفشل أبدا في إصابة طائرة .. إلا
إذا

وقبل أن يكمل عبارته ، هبط بالطائرة فجأة إلى
مستوى منخفض للغاية ، حتى أن (ألكسى) صاح
بفرع :

— ربّاه .. من المستحيل أن تتطلق بهذه السرعة
البالغة ، على هذا المستوى المنخفض .. هذا مستحيل
وخاصة وسط هذا الظلام .

ولكن (أدهم) تجاهل هذه العبارة ، وانطلق على
ارتفاع منخفض جدًا ، حتى أن أجنحة الطائرة كادت
تمس قمم الأشجار ، وابتسم ساخرًا وهو يقول :

— حسنًا أيها الرفيق (ألكسى) .. إننى أهوى
المستحيلات .

وفجأة تبدلت ملامحه ، وصاح بسرور :

— ربّاه .. إذن فهذا سبب ابتعاد المقاتلات
السوفيتية .. أبشروا يا رفاق ها هو ذا البحر الأسود
أمامنا ..

وبسرعة فائقة اجتازت الطائرة حدود الاتحاد
السوفيتي ، ومرت كالصاروخ فوق مضيق البوسفور
التركي .. وصاح (ألكسى) بسعادة غامرة :

— لقد نجونا .. يا لسعادتي .. لقد عبرنا الحدود .
تنهّدت (منى) بارتياح ، وقد قفرت الدموع من
عينها ، على حين قال (أدهم) بهدوء :

— حسنًا .. لقد نجونا من المقاتلات السوفيتية ،

والآن سنواجه خطر المقاتلات المصرية .. هذا إذا
ما نجحنا في عبور البحر المتوسط قبل أن ينفذ القود .

كانت الشمس قد أشرقت عندما أحاطت المقاتلات
المصرية بالمقاتلة السوفيتية ، وطلبت منها الاستسلام عن
طريق جهاز اللاسلكي .. تنهّدت (أدهم) بارتياح ،
وفتح جهاز اللاسلكي ، وقال بهدوء :

— هنا المقدم (أدهم صبرى) من المخابرات الحربية
المصرية ، أطلب الإذن بالهبوط ؛ لأن القود قد أشرقت
على النفاذ ، هذه المقاتلة سوفيتية الأصل ، ولكن قائدها
مصرى الجنسية .. حوّل .

وبهدوء هبطت الطائرة السوفيتية على أرض المطار
الحربى المصرى ، تحت حراسة المقاتلات المصرية ..
وما أن أوقف (أدهم) محركاتها ، حتى هبط منها هو
(منى) و (ألكسى) ، وقد رفع كل منهم ذراعيه
خلف رأسه .. أحاط بهم الجنود ، وقادوهم إلى مكتب

قائد المطار ، الذى استمع إلى قصة (أدهم) بشك ،
ثم قال وهو يتأملهم بريبة :

— هذه القصة عجيبة أيها المقدم .. بصفتي طيار
قديم أعلم جيدًا أنه من المستحيل القرار من الاتحاد
السوفيتي بطائرة حربية .. هذا مستحيل بالنسبة لطيار
حربى محترف ، فكيف به بالنسبة لضابط مخابرات مهما
بلغت كفاءته ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— هذا إطراء لى ياسيدى ، وعمومًا يمكنك تسليمنا
إلى المخابرات الحربية .

هزّ قائد المطار كتفيه ، وقال :

— هذا ما سيحدث بالفعل أيها المقدم .. متصل
سيارة المخابرات بعد دقائق .

أومأ (أدهم) برأسه ، وقال :

— شكرًا ياسيدى .. والآن هل تسمح لى
بالاغتيال ، حتى يتعرّف زملائى ملائعى .

قال مدير المخابرات الحربية المصرية ، وهو يزر رأسه ويتسم بإعجاب :

— ها هو ذا انتصار جديد يضاف إلى إنجازاتك الرائعة أيها المقدم .. لقد حصلت على المستندات ، وأوقعت بالعمل السوفيتي (إيثان) ، وتسببت في إلقاء القبض على ضباط (الموساد) الثلاثة .. مهمة أخرى مستحيلة تنجح في أدائها !

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— ونكنها بحق أصعب المهام التي أسندت إلى حتى الآن يا سيدي .

ضحكت (منى) ، وقالت :

— وأكثرها رعباً وألماً ، وراحتي المغترقة تشهد بذلك يا سيدي .

الفت إليها (أدهم) ، وقال :

كانت دهشة قائد المطار عظيمة ، عندما شاهد شعر (أدهم) الأسود ، وملاحه الوسيمة المصرية عندما أزال تنكره ، وتعاظمت دهشته عندما وصلت سيارة المخابرات الحربية ، وقفز منها المقدم (حازم) ، ليحتضن (أدهم) قائلاً بفرحة :

— مرحى يا صديقي ، ها قد أضفت بطولة جديدة إلى بطولاتك السابقة .. ها أنت مرة أخرى قد حطمت المستحيل .



— لقد كنت عظيمة في هذه المهمة يا زميلتي العزيزة .. عظيمة بحق .

ابتسم مدير المخابرات ، عندما شاهد وجه (منى) يتخضب خجلاً وسعادة ، وقال :

— المهم أن السوفيت قد تكتسبوا الأمر تماماً ، ولم يصدروا أية بيانات . لو أنهم كانوا قد ألقوا القبض عليكما لصنعوا من هذا خبر الموسم ، ولكن لأنهم فشلوا في ذلك أحاطوا الأمر كله بالسرية التامة ، حتى أنهم لم يطالبوا باستعادة (أليكسي) ، بل تجاهلوه تماماً .. كل ما فعلوه هو أنهم أضافوا ثمن طائرة (ميج) إلى المبلغ المطلوب منا ، مقابل صفقة الأسلحة الأخيرة ، ونحن طبعا لم نسألهم عن السبب .

ضحك (أدهم) ، وقال :

— وهم من جانبهم لن يثيروا إلى ما حدث ، ما دمنا نلتزم الصمت من جانبنا يا سيدي .
قال مدير المخابرات ، وهو يخفي ابتسامته :

— وهل تطلب منهم أن يعلنوا أن ضابط مخابرات مصرى تحرك على أرضهم بحرية ، وكشف عميلاً ، وغادر الاتحاد السوفيتي في طائرة روسية حربية ، مناوئاً ثمان طائرات يقودها طيارون على أعلى مستوى ، وهزمهم جميعاً .. هل تعتقد أنهم يحجون إعلان ذلك ؟ إن تجاهلهم لما حدث يعد رشوة لنا ، حتى لا نعلنه على العالم أيها المقدم .

ثم مال إلى الأمام ، وقال :

— لقد أشعلنا النيران في الجليد الأحمر أيها المقدم أنت وزميلتك ، وأثبتنا أن المخابرات المصرية تفوق الجميع .. أننا بطلان .

تطلعت (منى) إلى الشمس التي تغمر المكان ، وهي تغادر مبنى إدارة المخابرات الحربية برفقة (أدهم) ، وقالت :

— نحن سعداء الحظ ؛ لأننا نتمتع بهذا الجو الدافئ في مصر ، برغم حلول الشتاء .

قتال الذئاب

- لماذا اختطف رجال (المافيا) المغير المصري في إيطاليا ؟
- لماذا يدور هذا الصراع الدامي بين (أدهم صبرى) وعصابات (المافيا) بأكملها ؟
- نرى هل ينجو (أدهم صبرى) من قبضة (المافيا) القوية ، وينجح في إنقاذ السفير المخطوف ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة .. لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .

اقرأ التفاصيل المثيرة في العدد القادم

ضحك (أدهم) ، وقال :

— بعكس (إيفان) المسكين .. لا بد أنه يتجمد

برذا في سبيريا الآن .. كم أضحك عندما أتذكر أنه كان يريد إرسالنا إلى هناك .

ابتسمت (منى) بمكر ، وقالت وهي تتأبط ذراع

(أدهم) :

— هذا ما يستحقه ؛ لأنه تجرأ على تحدى رجل

مظك يا سيادة المقدم .. رجل المستحا ..

* * *

(تمت بحمد الله)